

مجدي السيد العظيم

دموع وأحزان  
في  
حياة الرسول  
ﷺ

مكتبة القرآنية

للطباعة والنشر والتوزيع  
٣ شارع القماش بالفرنساوى - بولاق  
القاهرة - ت. ٧٦١٩٢٠١ - ٧٦٨٤

# وكلاء التوزيع

السعودية

## مكتبة الساعي

الرياض : ت ٤٣٥٣٧٦٨ فاكس ٤٣٥٥٩٤٥ فرع جدة ت ٦٥٣٢٠٨٩  
القصيم - بريدة : ت ٣٢٣١٤٣٤ - المدينة المنورة - ت ٨٢٤٢٧٧٥  
ص.ب : ٥٠٦٤٩ - ١١٥٣٣ الرياض

## كنوز المعرفة

جدة ت (٤٢٠٦٥١) فاكس ٦٤٤٢٧٣ ص.ب : ٣٠٧٤٦ جدة ٢١٤٨٧

المغرب

## دار المعرفة

40 شارع فيكتور ميكو - الدار البيضاء  
ص.ب : 4150 ☎ 300567 - 309520

## المكتبة السلفية

12 حي الداخلة - زنتنا لإمام القسطلاني - الدار البيضاء  
☎ 307643

الإمارات

## دار الفضيحة

دبي - ديرة - ص.ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

البحرين

## دار الحكمة

ص.ب : ٢٣٨٧٥ هاتف ٣٢٦٠٣٢

جميع الحقوق محفوظة للناس







إن الحمد لله :

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،  
ومن سيئات أعمالنا .

من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد  
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَموتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ  
مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ  
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا  
اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾<sup>(٢)</sup> .  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ  
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ \* وَمَنْ يَطعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ  
فَوْزًا عَظِيمًا ﴾<sup>(٣)</sup> .



. سورة آل عمران : ١٠٢ .

.. سورة النساء : ١ .

... سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .



## بين يدي الكتاب

### القدوة والأسوة في حياة الرسول ﷺ

أخى المسلم .. أخى المسلمة ..

قدوة كل مسلم ومسلمة هو النبي ﷺ، وأسوة كل مؤمن ومؤمنة هو الرسول ﷺ .

قال الله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ والأسوة : القدوة ، والأسوة ما يتأسى به ، أى يتعزى به ، فيقتدى به في جميع أحواله .

وفي هذا الكتاب الذى بين أيدينا نجد بعض المواقف النبوية التى سقطت فيها دموعه شفقة على غيره ، أو رحمة بأمرته نتأمل فيها ، وتندبر معانيها .

والمرء في زماننا أحوج ما يكون إلى التأسى برسوله ﷺ وليس هذا من باب المندوب إليه ، بل إن التأسى به من الأمور التى أوجبها علينا القرآن الكريم ، والسنة النبوية<sup>(١)</sup> .

فالقرآن الكريم يعلمنا أن رحمة الله ستكون من نصيب من يتبعون الرسول ﷺ .

قال الحق تبارك وتعالى في محكم التنزيل :

﴿ ورحمتى وسعت كل شيء ، فساكنها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأُمى .. ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر : كتاب الأمر بالاتباع للسيوى - طبع بمكتبة القرآن سنة ١٩٨٧ م - بتحقيق الأستاذ مصطفى عاشور .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٦ - ١٥٧ .

وأرشدنا القرآن الكريم إلى أن الفلاح هو مصير الذين اتبعوه ،  
فقال عز وجل :

﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل  
معه أولئك هم المفلحون ﴾<sup>(١)</sup>

وبين لنا القرآن الكريم أن الهداية من نصيب من اتبعوه ﷺ ،  
فقال تبارك وتعالى :

﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾<sup>(٢)</sup>

ولكى يصل العبد إلى محبة الله تعالى ، وينال مغفرة الذنوب ،  
فعليه أن يتبعه ﷺ ، فقال جل شأنه :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم  
ذنوبكم ﴾<sup>(٣)</sup>

بل إن الذين لا يتبعون الرسول ﷺ يعرضون أنفسهم للعذاب  
الآليم .

قال تقدست أسماؤه :

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم  
عذاب أليم ﴾<sup>(٤)</sup>

والأسوة في حياة الرسول ﷺ في أقواله ، وأفعاله ، وتقريراته .  
لذا فقد وفقني الله تعالى إلى إعداد هذا البحث في جانب من  
الجوانب التي عاشها النبي ﷺ وهو جانب رقة القلب ، وشدة  
شفقته المؤدية بدورها إلى الحزن والبكاء .

والمسلم في حاجة إلى هذا البحث ليتعلم ما هي الأمور التي  
ينبغي أن يقف عندها ، ويتمثل فيها برسوله ﷺ ، وليتأثر كما تأثر

(١) سورة الأعراف : ١٥٧ .

(٢) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٣) سورة آل عمران : ٣١ .

(٤) سورة النور : ٦٣ .

هو ، وليحزن كما حزن هو ، بل ويبكي كما يبكي ﷺ .  
وفي هذا التأثير نجد نوعاً من المتابعة للنبي ﷺ ، وفي هذه المتابعة  
الوصول إلى رضا الرحمن ، والزحزحة عن النيران ، والوصول إلى  
الجنان  
وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وإليه المصير

مجدى فتحى السيد إبراهيم  
طنطا - مصر





## اقرأ في الصفحات التالية



- ١ - دموع عند سماع القرآن .
- ٢ - أنين وبكاء في الصلاة .
- ٣ - دموع خوفاً من عقاب الله .
- ٤ - دموع الرحمة لموت الحفيد .
- ٥ - دموع وأحزان لوفاة عثمان .
- ٦ - رأيت عينيه تدمعان .
- ٧ - بكاء خوفاً على الأمة .
- ٨ - بكاء في بيت سعد بن عبادة .



## دموع عند سماع القرآن



عن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ :  
« أقرأ على القرآن ؟ » .

قلت : يا رسول ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟

قال : « إني أشتى أن أسمع من غيرى ،

فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد  
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾<sup>(١)</sup> .

قال : « حسبك »<sup>(٢)</sup> فرفعت رأسى ، فإذا دموعه تسيل .

هذا الحديث النبوى يجسد موقفاً من المواقف التى نزلت فيها دموع الرسول ﷺ  
تفكيراً وتدبراً فى كتاب الله تعالى .

والمرء المؤمن يقف بين يدى الله تعالى فى كل يوم خمس مرات ، يناجيه ،  
ويدعوه ، ويسترحمه ، ويستعطفه ، ونزول الدموع عند قراءة القرآن إنما هو  
أثر من آثار الصدق مع الله تعالى .

وقراءة القرآن قد تكون فى الصلاة أوفى خارجها ، والموقف الذى نعيش  
معه فى قراءة القرآن خارج الصلاة .

وفى هذا الموقف يجتمع كل من الرسول ﷺ ، وابن مسعود - رضى  
الله عنه - ، ويطلب الرسول ﷺ من ابن مسعود أن يقرأ عليه القرآن .  
وهنا يتعجب ابن مسعود ، كيف يجلس قارئاً ، والرسول ﷺ مستمعاً ،  
إنه لأمر عجاب !! .

(١) سورة النساء : ٤١ .

(٢) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٨٠/٥) ، (١١٢/٦) ، (١١٣ ، ١١٤) ، وأحمد  
(٣٨٠/١) ، (٤٣٣) ، ومسلم (٢٤٧) ، وابن أبى شيبة (٥٦٣/١٠) ، (٢٥٤/١٣) ، وابن المبارك  
(ص/٣٦) فى الزهد ، وأبو داود (٣٦٦٨) ، والترمذى (٣٠٢٥) ، والبغوى (٤٩١/٤) فى  
شرح السنة .

الرسول ﷺ الذى أنزل عليه القرآن الكريم من رب العالمين ، يطلب من غيره أن يقرأ عليه .. !! .

ولكن سرعان ما أزال الرسول ﷺ . العجب ، وأزاح الحيرة التى أحس بها ابن مسعود - رضى الله عنه - ، بأن أخبره أنه يجب أن يسمعه من غيره . وهنا يعلمنا بعض أهل العلم أنه يحتمل أن يكون أحب سماع القرآن من غيره ، ليكون عرض القرآن سنة .

كما يحتمل أن يكون لكى يتدبره ، ويفهمه .

ولذلك قالوا : القارىء كالحالب ، والسامع كالشارب .

بدأ عبدالله بن مسعود قراءة سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى :

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ .

وهنا يقول الرسول ﷺ لابن مسعود : « كف » أو « أمسك » ينظر ابن مسعود إلى الرسول ﷺ فإذا عيناه تذرغان بالدموع .

لقد بكى النبي ﷺ ، وسالت دموعه ، لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة الحال يومئذ ، وهو أمر يحق له طول البكاء ! .

لقد سالت دموعه ﷺ شفقة على أمته ، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيماً ، فقد يفضى بهم إلى الهلاك .

وهكذا أراد أن يعلمنا أن نستحضر قلوبنا عند سماع القرآن ، ونستحضر ما فيه من وعد ووعد ، وترغيب وترهيب ، وذكر الجنة والنار .

ولقد تعلم سلفنا الصالح هذه الصفة الطيبة ، صفة البكاء عند قراءة القرآن من النبي ﷺ ، وجعلوه قدوة لهم .

وهذه أمثلة حية على التأسي بالرسول ﷺ فى هذه الخصيصة الطيبة .



## بكاء السلف الصالح عند سماع القرآن

● يحكى لنا عروة بن الزبير - رحمه الله - عن موقفٍ شاهده بنفسه ، يقول :

كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة - رضى الله عنها - وكانت حالته - ، فأسلم عليها ، فغدوت يوماً ، فإذا هي قائمة تسبح ، وتقرأ وهي قائمة تصلى :

﴿ فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾<sup>(١)</sup> .

وتدعو ، وتبكي ، وتردها ، فقامت خلفها حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتي ، فإذا هي قائمة كما هي تصلى وتبكي .

عندما نتأمل في خشوعها - رضى الله عنها - نجد التفكير والتدبر ، والخضوع ، والتأثر لما تقوله ، وتقرؤه ، حتى إنها لتكرر الآية الواحدة لفترة زمنية ليست بالقصيرة .

إن بكاءها يحرك الخجل في قلوبنا من تقصيرنا ، بل تفرطنا في حق ربنا .

●●● ويذكر أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه صلى بالجماعة الصبح ، فقرأ سورة يوسف ، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته .

●●● ويروى أبو رجاء أنه كان يرى ابن عباس ، وتحت عينيه مثل الشراك<sup>(٢)</sup> البالى من الدموع .

●●●● وقدّم ناسٌ من أهل اليمن على أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فجعلوا يستمعون إلى القرآن وهو يتلى عليهم ، فلما سمعوا بكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كنا حتى قست منا القلوب !! .

فالبكاء عند سماع القرآن من صفات الأنبياء ، والصالحين .

(٢) الشراك : سير النعل على ظهر

(١) سورة الطور : ٢٧ .

وهذا الحديث النبوى يعلمنا ما يلي :

- ١ - أن عرض القرآن ، وقراءته على الغير سنة .
- ٢ - أن الفاضل لا ينبغي له أن يتكبر عن سماع المفضول .
- ٣ - جواز أمر السامع للقارئ بقطع القراءة إذا طرأ طارئ .
- ٤ - قراءة القرآن في المجالس مندوبٌ إليها .
- ٥ - التدبر والتفكير عند قراءة القرآن أو سماعه من الآداب التي ينبغي التمسك بها .

ونكمل المسير مع موقفٍ آخر من مواقف الدموع والحزن في حياة الرسول

ﷺ .



## أنين وبكاء فى الصلاة



عن عبد الله بن الشخير - رضى الله عنه - قال :  
« رأيت رسول الله ﷺ يصلى ، وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من  
البكاء »<sup>(١)</sup> .

أزيز : غليان ، وقيل : صوت الغليان ، ومعناه : الأنين والحنين من  
الخوف ، وهو صوت البكاء .

المرجل : القدر ، من النحاس ، أو الحجر ، أو الحديد ، أو هو القدر  
مطلقاً . موقف آخر من المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ ، وسالت دموعه .  
يقف ﷺ بين يدي الله تعالى منيباً ، ومتبتلاً إليه ، يدعوه ، ويشئى عليه ،  
ويستمطر رحماته ، ويطلب عفوه وغفائه .

ولكن لقد كان النبى ﷺ يصلى ، ويسمع من بجواره صوت البكاء ،  
وأنين الخوف من صدره الشريف ، حتى كأن الأنين يشبه غليان الماء فى  
القدر فوق النار .

وهذا يوضح لنا كمال خشيته ، وشدة خوفه ، وكمال خضوعه لربه ،  
وكل ذلك يبين كمال عبوديته ﷺ لله رب العالمين .  
ورحم الله ابن القيم عندما قال :

للعبد بين يدي الله موقفان : موقف بين يديه فى الصلاة ، وموقف بين  
يديه يوم لقائه ، فمن قام بحق الموقف الأول هوّن عليه الموقف الآخر ، ومن  
استهان بهذا الموقف ، ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف<sup>(٢)</sup> .

قال الله تعالى : ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً إن هؤلاء  
يجبون العاجلة ويذرّون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢٥/٤) ، وابن المبارك (١٠٩) ، وأبو داود (٩٠٤) ،  
والترمذى (ص/٢٢٢) فى الشمائل ، وابن حبان (٥٢٢) ، والحاكم (٢٦٤/١) وصححه ، وأقره  
الذهبي ، والبيهقى (٣٥٧/١) فى دلائل النبوة ؛ و (٢٥١/٢) فى السنن الكبرى .  
(٢) انظر : الفوائد (ص/١٤٩) .  
(٣) سورة الإنسان : ٢٦ - ٢٧ .

فالرسول ﷺ خير من قام بحق الموقف الأول مع أمنه ونجاته يوم القيامة ،  
وما ذلك إلا ليعلمنا الخوف من الله تعالى ، والخشوع في الصلاة .  
فهلا تأسينا برسولنا ﷺ ، واقتدينا بأفعاله !؟ .  
أرجو من الله تعالى هذا .

ومن الأحكام التي نستخلصها من هذا الموقف ما يلي :

- ١ - أن الصوت ، غير المشتمل على الحروف لا يضر في الصلاة ، ولا حرج في ذلك .
- ٢ - أكمل الناس خوفاً وخشية من الله ، لله هو النبي ﷺ .
- ٣ - البكاء في الصلاة من علامات الخشوع لله عز وجل .  
ومع دموع وأحزان الرسول ﷺ نكمل المسير .



## دموعٌ خوفاً من عقاب الله



عن عبدالله بن عمرو - رضى الله عنه - قال :

انكسفت الشمس يوماً على عهد رسول الله ﷺ ، فقام رسول الله ﷺ يصل حتى لم يكد يركع ، ثم ركع فلم يكد يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه ، ثم رفع رأسه فلم يكد أن يسجد ، ثم سجد فلم يكد أن يرفع رأسه فجعل ينفخ ويكي ، ويقول :

« رب ألم تعدنى ألا تعذبهم وأنا فيهم !؟ ، رب ألم تعدنى ألا تعذبهم وهم يستغفرون ، ونحن نستغفرك !؟ » .

فلما صلى انجلت الشمس ، فقام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا ينكسفان لموت أحد ، ولا لحياته ، فإن انكسفا فافزعوا إلى ذكر الله »<sup>(١)</sup> .

قوله « انكسفت » : الكسوف : ذهاب نور الشمس كله أو بعضه ، والأشهر أن الكسوف للشمس ، والخسوف للقمر ، وقد يتبادلان اللفظين .

هذا الموقف يصور لنا صزرة لحالة من الحالات التي نزلت فيها دموع الرسول ﷺ .

فلقد ذهب ضوء الشمس كله أو بعضه على عهد الرسول ﷺ ، وشاء الله تعالى أن يكون ذلك في نفس اليوم الذي يموت فيه إبراهيم ابن رسولنا ﷺ ، وهنا يثار حوار بين الناس :

هل كسفت الشمس حزناً لموته !؟ .

بين مؤيدٍ ورافضٍ دار حديث الناس ، فخرج إليهم النبي ﷺ ، وأعلنها

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٤/٢ و ٤٦ و ٤٩) . ومسلم (٩١٠) مختصراً ، وأحمد (٢٩٨/١ ، ٣٥٨) ، (٣/٣١٨) ، وأبو داود (١١٩٤) . والنسائي (١٢٤/٣ ، ١٢٧) ، وابن ماجه (١٢٦١) ، (١٢٦٢) ، ومالك (١٨٦) فى الموطأ ، عبد الرزاق (٤٩٢٥) ، وابن أبى شيبة (٤٦٧/٢ ، ٤٧١) ، وابن حبان (٥٩٤) . وابن خزيمة (١٣٧٢) ، (١٣٧٤) ، والبخارى (٣٦٢/٤) فى شرح السنة .

## عالية مدوية :

« إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا

لحياته . »

ولكن هاهو رسولنا ﷺ يبكى وهو يصلى ، وتنزل دموعه ، يناجى ربه أن يرفع هذا البلاء ، وينجى العباد والبلاد .

فلما صلى النبي ﷺ انجلت الكربة ، لقد انكشفت الشمس ، وظهر نورها ، وأحس الكل أن الله قد رضى عن عباده ، وتقبل دعاء نبيه ﷺ .

وقوله : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله » معناه : أنهم في الجاهلية كانوا يزعمون أن كسوف الشمس والقمر يُوجب حدوث تغيير في العالم : من موتٍ وضررٍ ، ونقصٍ ونحوها ؛ فأعلم النبي ﷺ صحابته أن ذلك باطل ، وأن خسوفهما آيتان من آيات الله ليعلموا أنهما خلقان مسخران ، ليس لهما سلطانٌ في غيرهما ، ولا قدرة لهما على الدفع عن أنفسهما ، وأمر عند كسوفهما بالفرع إلى ذكر الله تعالى ، والصلاة إبطالاً لقول الجاهل الذين يعبدونهما ، ونفياً للفعل عنهما ، وتحقيقاً أن ذلك من الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقيل : إنما أمر بذلك لأنهما من الآيات الدالة على قرب الساعة ، كما قال الله عز وجل ﴿ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصْرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون ذلك آية يخوف بها الناس ليفزعوا إلى التوبة ، والاستغفار ، قال تعالى : ﴿ وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً ﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الموقف النبوى نتعلم ما يلي :

١ - إبطال ما كان عليه الناس في الجاهلية من اعتقاد أن الكسوف يوجب حدوث تغير في الأرض من موتٍ أو ضررٍ ، فأعلم النبي ﷺ أنه اعتقاد باطل .

٢ - إبطال ما كان أهل الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب في الأرض .

(٢) سورة القيامة : ٧ - ٨ .

(١) شرح السنة (٤/٣٦٣) للفيوي .

(٣) سورة الإسراء : ٥٩ .

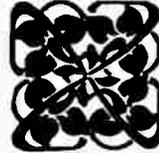
٣ - ما كان عليه النبي ﷺ من الشفقة على أمته ، وشدة الخوف من

ربه .

٤ - الالتجاء إلى الله عند المخاوف بالدعاء والاستغفار سبباً لمحو ما فرط من العصيان يرجى به زوال المخاوف ، وأن الذنوب سبب البلاء ، والعقوبات الآجلة والعاجلة .

٥ - يؤخذ من الحديث استحباب الخطبة للكسوف .

ومع موقف من مواقف الدموع والأحزان في حياة رسولنا ﷺ ،  
نكمل المسير .



## دموع الرحمة لموت الحفيد



عن أسامة بن زيد - رضی الله عنه - قال :  
 كنا عند النبي ﷺ ، فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه ، وتخبره أن  
 صبيّاً لها ، أو ابناً لها في الموت ، فقال للرسول :  
 « ارجع إليها فأخبرها : أن الله ما أعطى ، والله ما أخذ ، وكل شيء  
 عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » .  
 فعاد الرسول فقال : إنها قد أقسمت لتأتيها ، قال : فقام رسول الله  
 ﷺ ، وقام معه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وانطلقت معهم ، فرفع  
 إليه صبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة ، ففاضت عيناه .  
 فقال له سعد : ما هذا ، يا رسول الله ؟ .  
 قال : « هذه رحمة ، جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من  
 عباده الرحماء »<sup>(١)</sup> .

أخى المسلم .. أختى المسلمة ..

الأولاد نعمةً جليّةً من نعم الله علينا ، بهم تعمر البلدان ، وتحقق سعادة  
 الآباء والأمهات ، وتكمل الحياة في أعين بنى آدم .  
 وصدق القائل بقوله : الأولاد هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن  
 لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ،  
 يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم .  
 ولقد سئل الإمام علي - رضی الله عنه - : أى أولادك أحب إليك ؟ .  
 فقال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يعود .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٠٠/٢) ، (١٥٢/٧) ، ومسلم (٩٢٣) ، أحمد  
 (٢٠٤/٥) ، وعبد الرزاق (٦٦٧٠) ، وأبو داود (٣١٢٥) ، والبيهقى (٤٢٦/٥) فى شرح  
 السنة ، والبيهقى (٦٥/٤) فى سننه ، وبنحوه أخرجه أحمد (٢٧٣/١) ، والنسائى (١٢/٤) من  
 حديث ابن عباس - رضی الله عنه - .

ولكن يتلى المولى جل جلاله عبده المؤمن . فيموت الصغير ، ويرحل عن دنيا الكبير ، وهنا يعلمنا الإسلام أن على المرء المسلم ، والمرأة المسلمة الصبر ، والاحتساب ، والاسترجاع بقول : إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، مع الرضا بقضاء الله وقدره .

ولنتدبر هذا الموقف بين علي بن أبي طالب ، وعدى بن حاتم - رضى الله عنهما - نظر عليّ إلى عدى بن حاتم فوجده كهيئاً ، فقال : يا عدى ، مالي أراك كهيئاً حزيناً ؟ فقال عدى : وما يمنعني ، وقد قتل ابنائى !! .  
فقال عليّ : يا عدى ، من رضى بقضاء الله جرى عليه ، وكان له أجرٌ ، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه ، وحبط عمله .

فالرضا باب الله الأعظم ، وهو جنة الدنيا ، ومستراح العابدين . وعندما نتأمل في روضة السنة النبوية نجد ثواب من صبر ، واحتسب على فقد الأولاد .

وتعلمنا السنة النبوية أن من صبر على فقد الأولاد ، فقد تحصن بحصن حصين من النار .

وترشدنا السنة النبوية أن من استرجع واحتسب فقد صار من أهل الجنات ، والريحان .

وتوضح لنا السنة النبوية أن الله تعالى إنما يختبر العباد بقدر مآلديهم من إيمان ، فإن كان إيمانهم عظيم القدر ، شدد الله عليهم في البلاء ، وإن كان في دينهم رقة ، خفف عليهم من البلاء .

وتجلى لنا السنة النبوية حقيقة طالما غابت عنا ، وهي أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له ، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له وفي هذا الموقف الذى بين أيدينا يوضح لنا كمال شفقتة ﷺ وسعة رحمته .

لقد أبلغ ﷺ بوفاة أحد أحفاده ، فما كان منه إلا أن علمهم أن الذى أخذه الله تعالى هو الذى كان قد أعطاه ، فإن أخذه فقد أخذ ما هوله ، فلا ينبغي الجزع ، لأن مستودع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه .

فكل من الأخذ والإعطاء بمقدار معلوم<sup>(١)</sup>.

ويأمر النبي ﷺ ابنته بالصبر والاحتساب ، ويأمرها أن تنوى بصبرها طلب الثواب من ربها ، ليحسب لها ذلك من عملها الصالح .

وهاهو النبي ﷺ يُدفع إليه الصبي ، ونفسه تخرج من بدنه ، إنها تققع ، والققعقة : حكاية صوت الشيء اليابس إذا حرك .

جسم الصبي ذابل ، ونفسه تتردد في الخروج ، وهنا لا يملك النبي ﷺ دموعه ، فتفيض عيناه بالدموع شفقة على الصغير .

وهنا يسأل الرسول ﷺ : يا رسول الله ، أتبكي ، وتنبى عن البكاء ؟!

ويجيب الرسول ﷺ معلماً الصحب الكرام أن هذه الدموع هي من آثار الرحمة .

وكأنه أراد أن يقول لهم : إن الذى يفيض من الدمع من حزن القلب بغير تعمّد من صاحبه ، ولا استدعاء لا مؤاخذه عليه ، وإنما المنهى عنه الجزع ، وعدم الصبر .

ويوضح هذا المعنى العلامة النووى<sup>(٢)</sup> فيقول :

معناه : أن سعداً ظن أن جميع أنواع البكاء حرام ، وأن دمع العين حرام ، وظن أن النبي ﷺ نسى فذكره ، فأعلمه النبي ﷺ أن مجرد البكاء ، ودمع العين ليس بحرام ، بل هو رحمة ، وإنما المحرم النوح ، والندب ، والبكاء المقرون بهما ، أو بأحدهما .

وهذا الموقف من مواقف الرسول ﷺ يعلمنا ما يلي<sup>(٣)</sup>:

١ - جواز استحضار ذوى الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ، ودعائهم ، وجواز القسم عليهم لذلك .

٢ - جواز المشى إلى التعزية ، والعيادة بغير إذن بخلاف الوليمة .

٣ - جواز إطلاق اللفظ الموهم لما لم يقع بأنه يقع مبالغة في ذلك لينبث

(١) انظر : الفتح (١٥٧/٢) .

(٢) شرح النووى على مسلم (٢٢٥/٦) . (٣) الفتح (١٥٨/٢) .

- خاطر المسئول في المجيء للإجابة إلى ذلك .
- ٤ - فيه استحباب إبرار القسم ، وأمر صاحب المصيبة بالصبر قبل وقوع الموت ليقع وهو مستشعر بالرضا ، مقاوماً للحزن بالصبر .
- ٥ - تقديم السلام على الكلام .
- ٦ - عيادة المريض ولو كان مفضولاً أو صيباً صغيراً .
- ٧ - إن أهل الفضل لا ينبغي أن يقطعوا الناس عن فضلهم ، ولو ردوا أول مرة .
- ٨ - حسن الأدب في السؤال لتقديمه قوله « يا رسول الله » على الاستفهام .
- ٩ - الترغيب في الشفقة على خلق الله ، والرحمة لهم ، والترهيب من قساوة القلب ، وجمود العين .
- ١٠ - البكاء من غير نوح أو ندب ، أو سخط .
- وهكذا نجد كل الخير في التأسي بمواقفه ﷺ ، التأسي في الضراء ، كما نتأسي به في السراء ، وسلاماً على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .



## دموعٌ وأحزان لوفاة عثمان بن مظعون



عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :

« دخل رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون ، وهو ميت ، فأكب عليه ، وقبله ، ثم بكى حتى رأيت الدموع تسيل على وجهه »<sup>(١)</sup>.

« عثمان بن مظعون » صحابي جليل ، له مناقب عديدة ، ومآثر كثيرة لقد كان فاضلاً قبل الإسلام وبعده .

فلقد حرّم الخمر في الجاهلية على نفسه ، وقال : لا أشرب شيئاً يُذهِبُ عقلي ، ويُضحك بي من هو أدنى مني ، ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد .

وفي الإسلام هاجر إلى الحبشة لهجرتين ، وشهد بدرًا ، وكان عابداً زاهداً ، وهو أول من دُفن في البقيع .

والآن عثمان بن مظعون قد صعدت روحه إلى بارئها ، وفي لقاءه الأخير بأهله وأصحابه ، وهو مسجى على سرير الموت يأتيه النبي ﷺ ، وينكب على جثمانه يقبله شفقة ورحمة حتى نزلت دموعه عليه .

وهنا نتعلم أن بكاء النبي ﷺ لم يكن أسفاً عليه ، بل رحمة له ، وشفقة عليه . كما نتعلم من هذا الموقف أن ما شاع بين العوام من أن تقبيل الميت غير جائز ، هذا من بدع العوام ، وخرافاتهم .

فها هو النبي ﷺ يبكي صحابياً بعد موته ويقبله ، وتنزل منه الدموع سخية . بل وبعد موت الرسول ﷺ يدخل عليه أبو بكر ويقبله ، وهو يبكي .

(١) حديث حسن . أخرجه أبو داود (٣١٦٣) ، وأحمد (٤٣/٦ ، ٢٠٦) ، والترمذي (٩٩٤) ، وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (١٤٥٦) ، والحاكم (١٩٠/٣) وصححه مع أن فيه عاصم ابن عبيد الله من الضعفاء ، ولكن يشهد له حديث معاذ بن ربيعة ، رواه الزوار (٨٠٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٠/٣) : إسناده حسن .

يروى ابن عباس - رضى الله عنهما - يحدث أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - دخل المسجد ، وعمر - رضى الله تعالى عنه - يحدث الناس ، فمضى حتى أتى البيت الذى توفى فيه رسول الله ﷺ ، وهو بيت عائشة - رضى الله عنهما - فكشف عن وجهه بردة حبرة كان مسحى عليه ، فنظر إلى وجه النبي ﷺ ثم أكب عليه فقبله ، قال :

« أما والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً »<sup>(١)</sup>.

فتأسى بالرسول ﷺ فى هذا الموقف ولنقبل موتانا بلا حرج رحمة لهم ، وشفقة عليهم .



(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٢٤١) ، (١٢٤٢) .

## رأيت عينيه تدمعان



عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال :  
« شهدت ابنة لرسول الله ﷺ ، ورسول الله جالس على القبر ، فرأيت  
عينيه تدمعان ، فقال : « أفیکم رجل لم يقارف الليلة »<sup>(١)</sup> .  
قال أبو طلحة : أنا .  
قال : « فانزل » فنزل في قبرها » .

موقف مؤثر : القبر وأهواله ، حيث التراب ، والظلمة ، والدود ، والغربة  
ولكن نرجع قليلاً إلى الوراء حيث نجد أن أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ  
قد فارقت دنيا الناس إلى لقاء رب الناس ، وحملت على الأعناق .  
والآن قد وضعت الخشبة من على أعناق الرجال ، وجلس الرسول ﷺ  
على شفير القبر ، وعيناه يسيل دمعهما ، شفقة على ابنته ، ورحمة عليها .  
وهنا يسأل الرسول ﷺ أصحابه هذا السؤال :  
« هل منكم رجل لم يقارف الليلة ؟ » .

وقوله « يقارف » : المقارفة في الأصل : ارتكاب الذنوب ، وهى هنا  
كناية عن الجماع .

فأجاب أبو طلحة الأنصارى : أنه لم يأت امرأته هذه الليلة ، فأمره النبي  
ﷺ أن ينزل القبر ، فنزل قبرها ليلحدها ، ويواربها التراب .  
وهنا يطراً تساؤل ألم يكن من الأولى أن ينزلها - رضى الله عنها - زوجها  
عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ؟ .

يذكر ابن حبيب أن السر في إيثار أبي طلحة على عثمان ، أن عثمان كان  
قد جامع بعض جواربه في تلك الليلة ، فتلطف ﷺ في منعه من النزول في  
قبر زوجته بغير تصريح .

(١) حديث صحيح . أخرجه أحمد (١٢٦/٣ ، ٢٢٨) ، والبخارى (١١٤/٢) ، والترمذى  
(٣١٢) فى الشمال ، وابن سعد (٢٦/٨) فى طبقاته ، والبيهقى (٥١٣/٤) فى سننه .

وهذا الموقف النبوى ، وما حدث فيه يعلمنا مايلي<sup>(١)</sup>:

- ١ - جواز البكاء على الميت من غير سخط ، ولا ندب ، ولا صراخ .
- ٢ - جواز الجلوس على شفير القبر عند الدفن .
- ٣ - إدخال الرجال المرأة قبرها لكونهم أقوى على ذلك من النساء .
- ٤ - إثارة البعيد العهد عن الملاذ في موارد الميت - ولو كان امرأة - على الأب والزوج .
- ٥ - فيه فضيلة عثمان - رضى الله عنه - لإثاره الصدق ، وإن كان عليه فيه غضاضة .

ورحم الله عثمان ، ونكمل المسير مع مواقف البشير النذير .



---

(١) الفتح (١٥٩/٢) .

## بكاء خوفاً على الأمة



عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ رب  
إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ﴾ (١) الآية .

وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم  
فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ (٢) .

فرفع يديه ، وقال : « اللهم أمتي أمتي » وبكى .

فقال الله عز وجل : « يا جبريل ، اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ،  
فسله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله ، فأخبره رسول  
الله ﷺ بما قال ، وهو أعلم .

فقال الله : « يا جبريل ، اذهب إلى محمد ، فقل إنا سنرضيك في أمتك  
ولا نسؤك » (٣) .

موقف رائع يصور لنا مدى شفقة الرسول ﷺ على أمته ، ورحمته .  
يتذكر رسولنا ﷺ دعوات الأنبياء الذين سبقوه إلى الله تعالى ، فيرفع يديه ،  
يدعو ربه : « اللهم أمتي .. أمتي .. » .

ويبكي ﷺ خوفاً على مصير أمته في يوم القيامة ، حيث الحسرة  
والندامة .

فيطمئن نبينا ﷺ على مصير أمته ، فيرضيه الله تعالى ، ولا يسوءه .  
إنه موقف قصيرٌ يبكي فيه النبي ﷺ ، لكنه يظهر بوضوحٍ لامرية فيه  
أنا في حاجةٍ إلى مراجعة أنفسنا ، هل نحن على الأهلية التي تجعل رسولنا ﷺ  
يبكي من أجلنا ؟ .

(٢) سورة المائدة : ١١٨ .

(١) سورة إبراهيم : ٣٦ .

(٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٢٠٢) ، عبد الرزاق (٢٦٩٧) ، وابن أبي الدنيا (٦١) في  
حسن الظن بالله ، والبيهقي (١٦٦/١٥) في شرح السنة ، والطبري (١٥١/١٣) في تفسيره ،  
والبيهقي (٢٠٥/٧) في سننه الكبرى .

إن الرسول ﷺ لو رأى حالنا ، قال لنا : يا حسرة على العباد ؟؟ لقد أضاعت الأمة سنته الإيمن رحم الله ، وقليل ما هم .

لقد جعلت الأمة الكتاب خلف ظهرها الإيمن رحم ربي إن هذا الموقف يشعرنا إلى كم نحن في حاجة إلى التأسى برسولنا ﷺ حتى نكون أهلاً لأن يباهى بنا في يوم القيامة .

إن هذا الموقف النبوى ترك لنا دروساً ، وعبراً كثيرة ، منها :

١ - كمال شفقة النبي ﷺ على أمته ، واعتناؤه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم .

٢ - استحباب رفع اليدين في الدعاء .

٣ - البشارة العظيمة لهذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً بما وعددها الله تعالى بقوله : « سنرضيك في أمتك ولا نسوءك » .

٤ - بيان عظم منزلة النبي ﷺ عند الله تعالى ، وعظيم لطفه سبحانه به ﷺ<sup>(١)</sup> فيها لنا عظات ، وعبر .



(١) شرح النووي على مسلم (٣/٧٨ - ٧٩) .

## بكاء في بيت سعد بن عبادة



عن عبدالله بن عمر قال :

اشتكى سعد بن عبادة شكوى ، فأتى رسول الله ﷺ يعودده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبدالله بن مسعود ، فلما دخل عليه وجده في غشية ؛ فقال : « أقد قضى ؟ » .

قالوا : لا ، يا رسول الله ، فبكى رسول الله ﷺ ، فلما رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا ، فقال :

« ألا تسمعون ، إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم »<sup>(١)</sup>.

« سعد بن عبادة » صحابي جليل ، له مآثر عظيمة ، ومواقف جليلة . فلقد شهد العقبة مع السبعين ، والمشاهد كلها ما خلا بدرأ ، فإنه تهباً للخروج فلدغ فأقام ولم يخرج .

وكان سعد بن عبادة جواداً ، وكان يحسن الرمي ، والكتابة ، والسباحة ، وكانت العرب تسمى من اجتمعت فيه هذا الخصال : الكامل .

يحكى محمد بن سيرين - رحمه الله - موقفاً من مواقف كرمه ، فيقول : كان أهل الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل ، والرجل بالرجلين ، والرجل بالخمسة ، فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة .  
يا لله ؟؟ ياله من جوادٍ سخى مِعطاء .

ولقد كان سعد بن عبادة شجاعاً ، ومحباً للجهاد في سبيل الله تعالى . يروي أنس بن مالك - رضی الله عنه - أنه لما بلغ رسول الله ﷺ إقبال أبي سفيان ، قال : « أشيروا عليّ ؟ » .

فقام أبو بكر ، فقال : « اجلس » .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخاري (١٠٦/٢) ، ومسلم (٦٢٥) ، وأحمد (٤٤١/٢) ، والبيهقي (٦٩/٤) في سننه .

وقال سعد بن عبادة فقال : لو أمرتنا يا رسول الله أن نخيضها<sup>(١)</sup>  
البحر ، لأخضنا ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها<sup>(٢)</sup> إلى برك الغماد<sup>(٣)</sup>  
لفعلنا<sup>(٤)</sup>.

وكان « سعد بن عبادة » صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها ، وكان  
وجيهاً في الأنصار ، ذا رئاسة وسيادة ، يعترف قومه له بها .  
وكان غيوراً شديد الغيرة .

وكان يحمل إلى النبي ﷺ كل يوم جفنة مملوءة ثريداً ولحماً ، تدور  
معه حيث دار .

هذا هو سعد بن عبادة في سطور .



---

(١) أي الخيل .  
(٢) هو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل .  
(٣) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٢٢٠/٣) ، ومسلم (١٧٧٩) .  
(٤) كناية عن ركضها .

## تحليل الموقف النبوي



« سعد بن عبادة » صاحب هذه المناقب العديدة يجلس على فراش المرض جاء النبي ﷺ ومعه بعض الصحب الكرام لكي يزوروا سعد بن عبادة في مرضه ، ولكن لقد حدثت المفاجأة ، فلما دخل الرسول ﷺ وجده في غاشية أهله .

والغاشية : الذين يغشونهم للخدمة وغيرها ، ويجوز أن يكون المراد بالغاشية الغشية من الكرب .

قال التوربشتي رحمه الله : الغاشية هي الداهية من شر ، أو من مرض ، أو من مكروه ، والمراد : ما يتغشاه من كرب الوجد الذي هو فيه لا الموت ، لأنه أفاق من تلك المرضة ، وعاش بعدها زماناً .

يسأل الرسول ﷺ أهله « قد قضى ؟ » أي : هل مات ؟ .

فيجيب أهله : لا يارسول الله . .

وهنا يبكي النبي ﷺ رحمة بسعد ، وشفقة عليه .

إنه يعلمنا : استحباب عيادة المريض ، وعبادة الفاضل المفضول .

ويعلمنا : أن مجرد البكاء بدمع العين من غير زيادة على ذلك لا يضر .

وهكذا هي مواقف الرسول ﷺ كلها تعليم وإرشاد .



## في الصفحات التالية :



- ١ - بكاء عند قبر الأم .
- ٢ - لموع في الجنائز .
- ٣ - حزن واستغاثة يوم بدر .
- ٤ - لموع وأسى يوم أحد .
- ٥ - عام الحزن في حياة الرسول ﷺ .
- ٦ - لموع وأحزان في الطائف .
- ٧ - أحزان لا نقطاع الوحي .
- ٨ - حزن طويل في موقف أليم .



## بكاء عند قبر الأم



عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال :  
 زار رسول الله ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، وقال :  
 « استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته  
 في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت »<sup>(١)</sup> .  
 موقفٌ عصيبٌ من المواقف التي مرت على الرسول ﷺ .  
 لقد زار قبر أمه أمينة بنت عبد الله عظة وتذكرة ، ولكن عند القبر سقطت  
 دموع النبي ﷺ على الثرى ، وهنا بكى كل الواقفين معه عند القبر .  
 « بكى وأبكى من حوله » .

قال أهل العلم : بكاؤه ﷺ على ما فاتها من ادراك أيامه ، والإيمان به .  
 وهنا يقول الرسول ﷺ بعد الانتهاء عن البكاء :  
 « استأذنت ربي عز وجل في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي » .  
 أراد النبي ﷺ أن يستغفر لأمه فنهاه الله عز وجل عن ذلك ، فقال عز  
 وجل :

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى  
 قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 قال ابن عباس - رضى الله عنهما - :

كانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية ، فأمسكوا عن الاستغفار  
 لأمواتهم ، ولم ينهوا أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا ، ثم أنزل الله :  
 ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين

(١) حديث صحيح . أخرجه مسلم (٩٧٦) ، وأحمد (٤٤١/٢) ، وأبو داود (٣٢٣٤) ، وابن  
 أبي شيبة (٣٢٣/٣) ، والنسائي (٩٠/٤) ، وابن ماجه (١٥٧٢) ، والبيهقي (٤٦٣/٥) في شرح  
 السنة ، واليهيقي (٧٠/٤) في سننه ، و (١٤٨/١) في دلائل النبوة .

(٢) سورة التوبة : ١١٣

له أنه عدوّ الله تبرأ منه إن إبراهيم لأواة حلیم ﴿١﴾ .

قال ابن عباس - رضی الله عنهما - :

ما زال إبراهيم يستغفر لأبيه حتى مات ، فلما تبين له أنه عدوّ الله تبرأ منه .

وفي رواية : لما مات تبين له أنه عدوّ الله ﴿٢﴾ .

وبعد ذلك يقول الرسول ﷺ : « واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن

لي » .

وفيه جواز زيارة المشركين في الحياة ، وقبورهم بعد الوفاة لأنه إذا جازت

زيارتهم بعد الوفاة ففي الحياة الأولى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وصاحبهما في

الدنيا معروفاً ﴾ ﴿٣﴾ .

وفيه : النهي عن الاستغفار للمشركين ﴿٤﴾ .

وفي نهاية الموقف يقول النبي ﷺ : « فزوروا القبور فإنها تذكركم

الموت » شاهدوا القبور لكي تتذكروا الموت ، ذلك لأن الإنسان إذا شاهد

القبور تذكر الموت وما بعده ، وفيه عظة واعتبار .

فالمؤمن إذا أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة

القلب ، ونشاط العبادة .

وبالعكس إذا نسي المؤمن ذكر الموت عوقب بثلاثة أشياء : تسويف

التوبة ، وترك الرضا بالكفاف ، والتكاسل في العبادة .

والمؤمن إذا ذكر الموت لم يبالي بضيق الدنيا ولا بسعتها .

والمؤمن إذا ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا وغمومها وهمومها .

والمؤمن إذا ذكر الموت صغرت الدنيا عنده ، وهان عليه جميع ما فيها .

لهذه الفضائل المترتبة على ذكر الموت يأمرنا الرسول ﷺ بزيارة القبور

لكي تتذكر الموت .

(١) سورة التوبة : ١١٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣٩٤/٢) .

(٣) سورة لقمان : ١٥ .

(٤) شرح النووي على مسلم (٤٥/٧) .

فهل تأسينا برسولنا ﷺ عند القبر؟ .  
وهل اقتدينا به في ذكر الموت والقبور؟ .  
هذا ما أرجوه .

ومع موقف من مواقف الدموع والأحزان في حياة الرسول ﷺ نكمل  
المسير .



## دموع في الجنائز



عن البراء بن عازب - رضی الله عنه - قال :  
« كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر ، فبكى حتى  
بَلَّ الثرى ، ثم قال :

« يا أخواني لمثل هذا فأعدوا »<sup>(١)</sup>.

دموع على الثرى ، تسقط من عيون خير الورى ، فيأثرى ما السبب ؟  
يحكى البراء بن عازب فيقول :

« كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فجلس الرسول ﷺ على شفير ، وأخذ  
يبكى حتى نزلت دموعه السخية على الثرى .

وهنا نقف ونقول : إن كان هذا هو حال نبينا ﷺ في الجنائز ، فكيف  
يكون حالنا ؟ .

إن المرء يشعر بالتفاوت العظيم بين حال النبي ﷺ في الجنائز ، وحال  
الناس اليوم .

أخى المسلم .. أختى المسلمة ..

في الجنائز عبرة لمن أراد العبرة ، وتذكرة لمن أراد التذكرة .

ولقد كان السلف الصالح يسيرون في الجنائز حزاني يفكرون في مصيرهم ،  
وما لهم بعد إدخالهم الميت قبره .

كان مكحول الشامي - رحمه الله - إذا رأى جنازة قال :

« اغدوا فإننا رائحون ، موعظة بليغة ، وغفلة سريعة ، يذهب الأول ،  
والآخر لا عقل له » .

وقال أسيد بن حضير - رضی الله عنه - :

« ما شهدت جنازة فحدثتني نفسي بشيء سوى ما هو مفعول به ،

(١) حديث حسن . أخرجه أحمد (٢٩٤/٤) ، وابن ماجه (٤١٩٥) ، والبخارى (٢٢٩/١/٨)  
في التاريخ الكبير ، والخطيب (٣٤١/١) في تاريخه ، انظر : السلسلة الصحيحة (١٧٥١) .

ما هو صائر إليه .

**قال الأعمش :** « كنا نشهد فلا ندرى من نعزى لحزن الجميع .  
ويوضح الأمر ثابت البناني - رحمه الله - فيقول : كنا نشهد الجنائز فلا نرى  
إلا متنعناً باكياً .

هكذا كان حال سلفنا الصالح ، ولكن خلف من بعدهم خلف يسرون  
في الجنائز وهو يضحكون ويلهون ، ولا حديث لهم إلا عن ميراثه ، وما تركه  
لأولاده من مالٍ وبنيان .

صاروا يحضرون عند القبر ولا يتعظون ، ويرون الموت ولا ينزجرون ،  
وما ذلك إلا لقسوة القلوب .

فالْمُؤْمِنُ إذا سار في الجنائز ، وسار بين القبور يتفكر في تلك اللحظات  
التي يقفها أمام القبر ، ويتذكر من دُفن فيه ، وكيف كان يؤمل في الدنيا  
طويلاً ، ويرجوا أملاً عظيماً ، وهاهو الآن رهين الصخور والتراب ، قد محا  
التراب محاسن الوجه ، وأكل الدود اللحم ، ونخر في العظم ، وتفرقت الأجزاء  
في ثنايا التراب ، ولم يبق للمرء سوى عمله .

والموقف النبوي الذي معنا عند القبر ، وبالتحديد عند شفير القبر يجلس  
النبي ﷺ ويكي بدموع حارة ، دموع الشفقة والرحمة ، ومن كثرة دموعه  
بلبل الثرى ﷺ ، وإن كان هذا هو حاله مع علو جاهه عند الله تعالى ، ورفعة  
درجته ، فكيف حال أمثالنا ؟ .

يقول العلامة المناوي<sup>(١)</sup> رحمه الله معلقاً على هذا :

العجب كل العجب ، من غفلة من لحظاته معدودة ، وأنفاسه محدودة  
فمطايا الليل والنهار تسرع إليه ، ولا يتفكر إلى أن يحمل ويسار به أعظم من  
سير البريد ، ولا يدرى إلى أي الدارين ينقل فإذا نزل به الموت قلق لحراب  
ذاته ، وذهاب لذاته ، لما سبق من جنائياته ، وسلف من تفریطاته حيث لم  
يقدم لحياته ، وفيه ندبٌ تذكر الغافل ، لأن الغفلة من طبع البشر وينبغي للمرء  
أن يتفقد نفسه ومن يجب بالتذكير .

(١) فيض القدير (١٦٣/٣) .

بعد أن توقف النبي ﷺ عن البكاء ، قال لأصحابه :

« أى إخوانى لمثل هذا فأعدوا » .

أى : لمثل نزول أحدكم قبره فليتخذ العدة التى تنفعه فى بيت الظلمة والوحشة ، وهى التقوى .

حقاً أن نزول القبر يستوجب الاستعداد بزيادة من التقوى .

وصدقاً لقد أحسن سلفنا الصالح التفكير فى القبر ، وفى الاستعداد له .  
فهذا عمرو بن العاص ينظر إلى مقبرة فنزل وصلى ركعتين ، فقيل له : هذا شئ لم تكن تصنعه ؟ .

فقال : ذكرت أهل القبور ، وما حيل بينهم وبينه فأحبيت أن أتقرب إلى الله .

وكان السلف الصالح يذكرون أن يوم الفقر عند الواحد هو يوم يوضع فى القبر فلا يزداد فى حسناتهم حسنة ، ولا يمحو من سيئاتهم سيئة .

فهذا أبو ذر - رضى الله عنه - يقول : ألا أخبركم بيوم فقرى يوم أوضع فى قبرى . ورحم الله أبا عبد الله القرطبي<sup>(١)</sup> عندما قال :

تفكر يا مغرور فى الموت وسكرته ، وصعوبة كأسه ومرارته ، فباللموت من وعيد ما أصدقه ، ومن حاكم ما أعدله .

كفى بالموت مقرحاً للقلوب ، ومبكياً للعيون ، ومفرقاً للجماعات ، وهاذاً للذات ، وقاطعاً للأمنيات .

فهل تفكرت يا بن آدم فى يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك ، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك ، وغطائك إلى عرر ، وغطوك من بعد لين لحافك بترابٍ ومدبر .

اعتبر بمن صار تحت التراب ، وانقطع عن الأهل والأحباب ، فجاءه الموت فى وقتٍ لم يحتسبه ، وهول لم يرتقبه .

(١) الذكرة (١٧/١) .

تأمل حال من مضى من إخوانك ، ودرج من أقرانك ، الذين بلغوا  
الآمال ، وجمعوا الأموال ، كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ،  
وعما التراب محاسن وجوههم ، وافتقرت في القبور أجزاءهم ، وترمل بعدهم  
نساؤهم ، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم .

وليتذكر ترددهم في المآرب ، وحرصهم على نيل المطالب ، وانخداعهم  
لمواتة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب ، وليعلم أن ميله إلى اللهو  
واللعب كميلهم ، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع والملاك السريع  
كغفلتهم ، وأنه لا يبدّ صائر إلى مصيرهم ، وليحضر بقلبه ذكر من كان متردداً  
في أغراضه ، وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر إلى ما حوله ، وقد  
سالت عيناه .

ويصول ببلاغة نطقه ، وقد أكل الدود لسانه .

ويضحك لمواتة دهره ، وقد أبلى التراب أستانه .

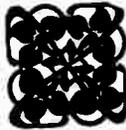
وليتحقق أن حاله كحاله ، وماله كماله ، وعند هذا التذكر والاعتبار ،  
يزول عنه جميع الأعمال الدنية ، ويقبل على الأعمال الأخروية ، فيزهدهم  
دنياه ، ويقبل على طاعة مولاه ، ويلين قلبه ، وتخضع جوارحه .

فهل اتعظنا بالقبر كما أوصانا رسولنا ﷺ ؟ ! .

وهل بكينا عند القبر كما بكى نبينا ﷺ ؟ .

فلنحسن فيما بقى ؛ عسى الله تعالى بفضله يغفر لنا ما سبق ، إنه غفورٌ

رحيمٌ .



## حزن واستغاثة يوم بدر



عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - قال :  
لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف ،  
وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ، ثم مد  
يديه فجعل يهتف بربه<sup>(١)</sup> :

« اللهم أنجز لى ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك  
هذه العصابة<sup>(٢)</sup> من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض . »

فما زال يهتف بربه ماداً يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن  
منكبيه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ،  
وقال :

يا نبي الله ، كذاك مناشدتك ربك<sup>(٣)</sup> ، فإنه سينجز لك ما وعدك ،  
فأنزل الله عز وجل :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة  
مردفين ﴾<sup>(٤)</sup> .  
فأمده الله بالملائكة .

قال ابن عباس : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد فى أثر رجل من  
المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم

(١) معناه : يصيح ويستغيث بالله بالدعاء . (٢) العصابة : الجماعة .

(٣) المناشدة : السؤال من الشئد ، وهو رفع الصوت ، قال العلماء : هذه المناشدة إنما فعلها  
النبي ﷺ ليراه أصحابه بتلك الحال فتوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع أن الدعاء عبادة ، وقد  
كان وعده الله تعالى إحدى الطائفتين : إما العير ، وإما الجيش ، وكانت العير قد ذهبت وفاتت  
فكان على ثقة من حصول الأخرى ، ولكن سأل تعجيل ذلك وتنجيزه من غير أذى يلحق  
المسلمين .

(٤) سورة الأنفال : ٩ .

قوله « إنى ممدكم » أى معينكم ، والإمداد والإعانة . وقوله « مردفين » : متابعين .

حيزوم<sup>(١)</sup>، فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً<sup>(٢)</sup>، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه<sup>(٣)</sup>، وشق وجهه كضربة السوط ، فجاء الأنصارى فحدث بذلك رسول الله ﷺ ، فقال :

« صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة . »

فقتلوا يومئذ سبعين ، وأسروا سبعين .

قال ابن عباس : فلما أسروا الأسارى ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر :

« ماترون في هؤلاء الأسارى ؟ »<sup>(٤)</sup> .

فقال أبو بكر : يابى الله ، هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية ، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام .

فقال رسول الله ﷺ : « ما ترى يا ابن الخطاب ؟ » .

قلت : لا والله ، يا رسول الله ، ما أرى الذى رأى أبو بكر ، ولكنى أرى أن تُمكننا فنضرب أعناقهم ، فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكنتى من فلان ( نسيباً لعمر ) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها<sup>(٥)</sup>، فهوى<sup>(٦)</sup> رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ماقلت .

فلما جئت من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يكيان .

قلت : يا رسول الله ، أخبرنى من شيء تبكى أنت وصاحبك ، فإن

---

(١) أقدم حيزوم : اسم فرس الملك ، هو منادى بحذف حرف النداء ، أى يا حيزوم . أما قوله « أقدم » من الإقدام ، قالوا : وهى كلمة زجر للفرس مطومة فى كلامهم .

(٢) أى منبطحاً على الأرض .

(٣) الخطم من كل طائر منقاره ، أما الخطم هنا : هو الأثر على الأنف ، وكانت تلك العلامة على وجوه الكفار دلالة أنهم قتلوا عن طريق الملائكة .

(٤) أى ماذا نفعل فيهم ؟

(٥) صنابيرها : أشرفها ، الواحد صنيد ، والضمير فى صنابيرها يعود على أئمة الكفار .

(٦) هوى : بكسر الواو أى : أحب ذلك واستحسنه ، يقال : هوى الشيء بكسر الواو بهوى بفتحها هوى ، والهوى محبة .

وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ؟ .  
 فقال رسول الله ﷺ : « أبكى للذي عرض على أصحابك من أخذهم  
 الفداء ، لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة » .  
 وأنزل الله عز وجل : ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يبخن  
 فى الأرض ﴾ (١) إلى قوله : ﴿ فكلوا مما غنم حلالاً طيباً ﴾ (٢) فأحل الله  
 الغنيمة لهم (٣) .

هذا موقف من المواقف التى بكى فيها النبى ﷺ تأثراً لما نزل عليه من  
 القرآن الكريم .

وبكى ﷺ شفقة على هذه الأمة ، ورحمة بها .  
 وبكى ﷺ الموافقة على رأى أبى بكر ، وتركه لرأى عمر .  
 وبكى ﷺ خوفاً من الله ، وإشفاقاً منه .  
 يقول العلامة القرطبى رحمه الله (٤) :

هذه الآية نزلت يوم بدر ، عتاباً من الله عز وجل لأصحاب نبيه ،  
 والمعنى : ما كان ينبغى لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذى أوجب أن يكون للنبى  
 أسرى قبل الإثنان ، والإثنان : كثرة القتل .  
 فأعلم سبحانه وتعالى أن قتل الأسرى الذين فُودُوا بيدى كان أولى من  
 فدائهم .

قال ابن عباس : كان هذا يوم بدر ، والمسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا  
 واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل بعد هذا فى الأسارى ﴿ فإما متناً بعدد وإما  
 فداء ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنفال : ٦٧ .  
 قوله « حتى يبخن فى الأرض » أى يكتر القتل والقهر فى العدو .  
 (٢) سورة الأنفال : ٦٩ .  
 (٣) حديث صحيح . أخرجه مسلم (١٧٦٣) ، وأحمد (٣١/١) ، وأحمد (٣٣) ، والبيهقى (١٣٧/٣)  
 فى دلائل النبوة ، والطبرى (٣١/١٠) فى تفسيره .  
 (٤) تفسير الجامع (٣١/٨ - ٣٢) . (٥) سورة محمد : ٤ .

## دموع وأسى يوم أحد



عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال :  
 لما كان يوم أحد ، كسرت رباعية رسول الله ﷺ ، وشج ، فجعل  
 الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول :  
 « كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى  
 الله<sup>(١)</sup> ! »

فأنزل الله عز وجل ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾<sup>(٢)</sup> .  
 موقف عسير من المواقف التي قابلت رسولنا ﷺ يوم أحد .  
 لم تسقط يومئذ الدموع منه فقط ، بل وسقطت الدماء الشريفة  
 كذلك ، بل وحدث الألم في وجهه الشريف كذلك .  
 كيف كان ذلك ، ولم كان ؟ .

يذكر لنا أصحاب السير والمغازي أن الله تبارك وتعالى لما أوقع بقريش  
 يوم بدر ، وترأس أبو سفيان ، لذهاب أكابره ، أخذ يؤلب على رسول الله  
 ﷺ ، وعلى المسلمين ، ويجمع الجموع ، فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من  
 قريش ، والحلفاء ، والأحاييش ، وجاعوا بنسائهم لكلا يفروا ، ثم أقبل بهم نحو  
 المدينة ، فنزل قريبا من جبل أحد .

فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه في الخروج إليهم ، وكان رأيه أن لا  
 يخرجوا ، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه السكك ، والنساء من فوق  
 البيوت ، ووافقهم عبدالله بن أبي - رأس المنافقين - على هذا الرأي .

وهنا بادر جماعة من فضلاء الصحابة - ممن فاته بدر - وأشاروا على  
 رسول الله بالخروج ، وألحوا عليه ، فهض ودخل بيته ، وليس عدة الحرب ،  
 وخرج عليهم ، فقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ على الخروج .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (١٢٧/٥) بنحوه ، ومسلم (١٧٩١) ، وأحمد (٢٠٦/٣) ،  
 ٢٥٣ ، ٢٨٨ ، وابن ماجه (٤٠٢٧) ، وابن سعد (٣١/١/٢) فى طبقاته .  
 (٢) سورة آل عمران : ١٢٨ .

ثم قالوا : إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل ، فقال :  
« ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه ، وبين  
عدوه » .

فخرج في ألف من أصحابه ، واستعمل على المدينة عبدالله بن أم مكتوم  
وكان رسول الله ﷺ رأى رؤيا : رأى « أن في سيفه ثلثة<sup>(١)</sup> ، وأن  
بقراً تذبج ، وأنه يدخل يده في درع حصينة » .

فتأول الثلثة : برجل يصاب من أهل بيته ، والبقر : بنفر من أصحابه  
يقتلون ، والدرع : بالمدينة ، فخرج ، وقال لأصحابه :

« عليكم بتقوى الله ، والصبر عند البأس إذا لقيم العدو ، وانظروا ماذا  
أمركم الله به فأفعلوا » .

فلما كان بين المدينة وجبل أحد ، انخذل عبدالله بن أبي بنحو ثلث  
العسكر ، وقال : عصائى ، وسمع من غيرى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا ،  
ههنا أيها الناس ؟ فرجع وتبعهم عبدالله بن عمرو - والد جابر - يجرضهم على  
الرجوع ، ويقول : قاتلوا في سبيل أو ادفعوا ، قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون  
لم نرجع . فرجع عنهم وسبهم .

وهنا سأل نفر من الأنصار رسول الله ﷺ : أن يستعينوا بحلفائهم من  
يهود فأتى ، وقال : « من يخرج بنا على القوم من كذب ؟ » .

فخرج بعض الأنصار ، حتى سلك في حائط لمربعى بن قيطى من  
المنافقين - وكان أعمى - فقام يحشو التراب في وجوه المسلمين ، ويقول :  
لا أحل لك أن تدخل في حائطى ، إن كنت رسول الله ، فابتدروه  
ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا أعمى القلب ، أعمى  
البصر » .

ونفذ حتى نزل الشعب من أحد ، في غدوة الوادى الدنيا ، وجعل ظهره  
إلى أحد ، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم .

(١) ثلثة : نفرة ، وفتحة .

فلما أصبح يوم السبت تعباً للقتال ، وهو في سبعمائة ، منهم خمسون فارساً ، واستعمل على الرماة - وكانوا خمسين - عبدالله بن جبير ، وأمرهم أن لا يفارقوا مركزهم ، ولو رأوا الطير تختطف العسكر ، وأمرهم أن يضربوا المشركين بالنبل ، لثلا يأتوا المسلمين من ورائهم .

واعطى رسول الله ﷺ اللواء مصعب بن عمير ، وجعل على أحد الجانبين : الزبير بن العوام ، وعلى الجانب الآخر : المنذر بن عمرو ، واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغر عن القتال كابن عمر ، وأسامة بن زيد ، والبراء ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وعرابة الأوسى ، وأجاز من رآه مطيقاً .

وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف ، وفيهم مائتا فارس ، فجعلوا على ميمنتهم : خالد بن الوليد ، وعلى اليسرة : عكرمة بن أبي جهل .  
ودفع رسول الله ﷺ سيفه إلى أبي دُجانة .

وكان أول من بدر من المشركين أبو عامر الفاسق ، وكان يسمى الراهب ، وهو رأس الأوس في الجاهلية ، فلما جاء الإسلام لم يدخله ، وجاهر بالعداوة ، فذهب إلى قريش يؤلِّبهم على رسول الله ﷺ ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ، فلما ناداهم ، وتعرَّف إليهم ، قالوا : لا أنعم الله بك عيناً يا فاسق .

فقال : لقد أصاب قومي بعدى شرٌّ ، ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً ، ثم أرضخهم بالحجارة .

وأبلى يومئذ أبو دجانة ، وطلحة ، وحزمة ، وعلى ، والنضر بن أنس ، وسعد بن الربيع بلاءً حسناً .

وكانت الغلبة أول النهار للمسلمين ، فانهزم أعداء الله ، وولوا مدبرين ، حتى انتهوا إلى نسائهم ، فلما رأى ذلك الرماة ، قالوا : الغنيمة ، الغنيمة ، فذكروهم أميرهم عهد رسول الله ﷺ فلم يسمعوا ، فأخلوا الثغر ، وكرَّ فرسان المشركين عليه فوجدوه خالياً ، فجاعوا منه ، وأقبل آخرهم حتى أحاطوا بالمسلمين فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة - وهم سبعون - وولى الصحابة .

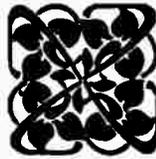
وتخلص المشركون إلى رسول الله ﷺ ، فجرحوه جراحات وكسروا رباعيته ، وقُتل مصعب بن عمير بين يديه ، فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب . وهنا تُكسر رباعية الرسول ﷺ وهي السن التي تلى الثانية من كل جانب ، وللإنسان أربع رباعيات .

وشج وجهه ﷺ ، وسالت منه الدماء الزكية على الثرى ، وهنا يعلم النبي ﷺ أن أهل الشرك لن يفلحوا أبداً :

أما هذا الموقف من النبي ﷺ فيعلمنا :

أن الأنبياء يحدث لهم من المحن والبلاء الكثير لينالوا جزيل الأجر والثواب ، وليعلم أنهم من البشر تصيبهم عن الدنيا ، ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليتيقنوا أنهم مخلوقون مربوبون ، ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات . ونتعلم نحن من هذا الموقف قدر الحلم ، والصبر ، الذي كان عليه رسولنا ﷺ لتتصف به ، وتتأسى .

وهكذا مرّ بنا موقف رائع من المواقف التي نزلت فيها دموع الرسول ﷺ ، وعاش فيه النبي ﷺ مع أحزان ، ونكمل المسير مع البشير النذير .



## عام الحزن في حياة الرسول ﷺ



هكذا يطلق عليه بعض العلماء ، ولكن بالنظر إلى الأحداث ، والوقائع التي وقعت فيه نجد أنه كان عام المنحة وليس المحنة .

لقد مات أبو طالب الذي كان الرسول ﷺ في منته ، وماتت خديجة - رضی الله عنها - بعد موت أبي طالب بأيام ، فاشتد البلاء على رسول الله ﷺ ، وأرادو قتله ، فمنهم الله من ذلك .

يذكر لنا الصحابي الجليل عبدالله بن عمرو صوراً من الآلام والأحزان التي عاش فيها رسول الله ﷺ يقول :

حضرتهم ، وقد اجتمع أشرفهم في الحجر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل صبرنا عليه ، سفة أحلامنا ، وشم آباءنا ، وفرق جماعتنا ، فبينما هم في ذلك ، إذ أقبل ، فاستلم الركن ، فلما مر بهم غمزوه .

وفي موقف آخر : أنهم قالوا له : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً ، فانصرف راشداً .

فلما كان من الغد اجتمعوا فقالوا : ذكرتم ما بلغ منكم ، حتى إذا أتاكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم كذلك ، إذ طلع عليهم ، فقالوا : قوموا إليه وثبة رجل واحد ، فلقد رأيت عقبة بن أبي معيط آخذاً بمجامع رداءه ، وقام أبو بكر دونه ، وهو يكي ، يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ .  
حقاً إن مواقف الدموع والأحزان في حياة الرسول ﷺ تثير فينا الكثير !! .

تقول أسماء بنت أبي بكر - رضی الله عنها - :

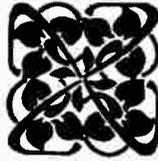
فأتى الصريخ إلى أبي بكر ، فقالوا : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا ، وهو يقول : ويلكم ، أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ .

فلها عنه ، وأقبلوا على أبي بكر ، فرجع إلينا .

ومرة كان يصلى عند البيت ، ورهط من أشرافهم يرونه ، فأتى أحدهم  
بسلا جزور ، فرماه على ظهره .

كل هذا حدث بعد وفاة أبى طالب ، وخديجة فى عام واحد ، بل وفى  
شهر واحد .

ولكن الرسول الصابر ، الممتحن يعلمنا أنه ما دام على الحق فليعملوا  
ما شاءوا ، فما دام الله سبحانه قد رضى عنه ، فلن يبالي بأى بلاء ، ولن  
يشتكى من شدة المحن ، وليكن الصبر والتصبر إلى النهاية .



## موع وأحزان في الطائف



لما اشتد البلاء من قريش على رسول الله ﷺ بعد موت عمه ، خرج إلى الطائف ، رجاء أن يجد لديهم المأوى ، فينصروه على قومه ، ويمنعوه منهم ، حتى يبلغ رسالة ربه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

ولكنه لم ير من يؤويه منهم ، ولم ير ناصرأ فيهم ، وآذوه أشد الأذى ، ونالوا منه ما لم ينل منه قومه ، وكان معه زيد بن حارثة مولاه .

يحكي ابن إسحاق هذا الموقف في سيرته ، فيقول :

لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم أخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، وحبيب بن عمرو ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟؟ .

وقال الثالث : والله لأكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك ، فقام رسول الله ﷺ من عندهم .

هكذا كانت تلك المواقف الحزينة التي عاش فيها رسولنا ﷺ في الطائف ، عند قبيلة ثقيف ، ولكن هل انتهى الأمر إلى هذا الحد ؟ .

يروى لنا أصحاب السير أنه ﷺ أقام بينهم عشرة أيام ، لا يدع أحداً من أشرفهم إلا كلمه ، فقالوا : أخرج من بلدنا ، وأغروا به سفهاءهم فوقفروا له صفيين ، وجعلوا يرمونه بالحجارة ، وبكلماتٍ من السفه ، هي أشد وقعاً من الحجارة حتى دميت قدماه ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه

شجاج فى رأسه فانصرف إلى مكة محزوناً .

وفى مرجعه دعا بالدعاء المشهور :

« اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهوانى على  
الناس ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد  
يتجهمني ، أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ،  
غير أن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له  
الظلمات ، وصلاح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يجعل عليّ غضبك ، أو ينزل  
بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

إنها مواقفٌ عصيبةٌ مرت فى حياة رسولنا ﷺ ، ولكنها تعلمنا الصبر  
والثبات فى مواطن المحن ، والحلم والتحلم فى الأزمات ، وعدم اليأس من سعة  
رحمة الله تعالى مهما اشتدت الكربات ، أو تأزمت الأزمات .

ونكمل المسير مع البشير النذير ، ودموع وأحزان مرت عليه ﷺ .



## أحزان لا تقطاع الوحي



قالت أم المؤمنين عائشة - رضی الله عنها - :

أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح<sup>(١)</sup> ، ثم حجب إليه الخلاء<sup>(٢)</sup> ، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه<sup>(٣)</sup> ، وهو التعبد الليالي ذوات العدد ، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق<sup>(٤)</sup> وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء<sup>(٥)</sup> . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق<sup>(١)</sup> . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك

الأكرم ﴾ .

(١) أى مشبهة ضياء الصبح ، أو : أى جاءت مبيناً مثل فلق الصبح ، والمراد بفلق الصبح ضياؤه ، وعرض بالتشبيه لظهوره الواضح الذي لا شك فيه . قاله صاحب الفتح .

(٢) الخلاء : الحلوة .

(٣) يتحنث بمعنى يتحنف ، أى يبيع الخبيفة ، وهى دين إبراهيم ، والفاء تبدل ثاء لى كثير من كلام العرب . المصدر السابق .

(٤) أى الأمر الحق .

(٥) ما : نافية ، إذ لو كانت استفهامية لم يصلح دخول الباء ، وإن حُكى عن الأخفش جوازه فهو شاذ ، والباء زائدة لتأكيد النفي .

(٦) قال ذلك لئلا قيل له : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أى لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك ، لكن بحول ربك وإعانتة ، فهو يعلمك كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان لى الصغر ، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية . قاله السهيلي .

وقال غيره : إن هذا التركيب يفيد الاختصاص ، وردده الطيبي بأنه إما يفيد التقوية والتأكيد ، والتقدير : لست بقارىء آتية .

فإن قيل : لمكرر ذلك لئلا ؟ .

أجاب أبو شامة بأن يحمل قوله أولاً : « ما أنا بقارىء » على الامتناع ، وثانياً على الإخبار بالنفى المحض ، والثالثاً على الاستفهام .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد - رضی الله عنها - فقال : « زملوني ، زملوني »<sup>(١)</sup>.

فزملوه حتى ذهب عنه الروح<sup>(٢)</sup>، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : « لقد خشيت على نفسي » .

فقال خديجة : « كلا والله ما يخزيك الله أبداً<sup>(٣)</sup> إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل<sup>(٤)</sup>، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل - ابن عم خديجة - وكان امرأً تنصر<sup>(٥)</sup> في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمى ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا بن أخي ، ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خير ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً<sup>(٦)</sup>، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ : « أو مخرجي هم ؟ »<sup>(٧)</sup> قال : نعم ، لم يأت

(١) زملوني : غطوني .

(٢) الروح : الفزع .

(٣) كلا : معانها النفي والإبعاد ، ويخزيك من الحزن ، ويخزيك من الحزى ، ثم استدل على ما أقسمت عليه من نفي ذلك أبداً بأمر استقرار وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب ، أو إلى الأجنبي ، وإما بالبدن ، أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره ، أو من لا يستقل . الفتح (٢٤/١) .

(٤) الكل : بفتح الكاف ، هو من لا يستقل بأمره .

(٥) تنصر : أي صار نصرانياً ، وكان قد خرج هو وزيد بن عمرو لما كرها عبادة الأوثان إلى الشام وغيرها يسألون عن الدين ، فأما ورقة فأعجبه دين النصرانية فنصر ، وكان لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ، ولم يبدل ، ولهذا أخبر بشأن النبي ﷺ وبالشارة به إلى غير ذلك مما أفسده أهل البديل .

(٦) الجذع : هو الصغير من البهائم ، كأنه تخشى أن يكون عند ظهور الدهاء إلى الإسلام شاباً ليكون أمكن لنصره ، وبهذا يتبين سر وصفه بكونه كان كبيراً أعمى وفيه دليل على جواز تخشى المستحيل إذا كان في فعل غير ، لأن ورقة تخشى أن يعود شاباً ، وهو مستحيل عادة والنبي ليس مقصوداً

على بابه ، بل المراد من هذا التنبيه على صحة ما أخبره به ، والتبويه بقوة تصديقه فيما يبيء به

(٧) أو مخرجي هم ؟ بفتح الواو وتشديد الهاء ، وفتحها جمع مخرج ، واستبعد النبي ﷺ أن يخرجوه ، لأنه لم يكن فيه سبب يقضى الإخراج ، لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق التي تقدم

من خديجة وصفها .

رجلٍ قط بمثل ما جئت به إلا عودى<sup>(١)</sup>، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا<sup>(٢)</sup>، ثم لم ينشب<sup>(٣)</sup> ورقة أن توفي، وفتر الوحي<sup>(٤)</sup> فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزناً، غدا منه مراراً كي يتردى<sup>(٥)</sup> من رموس شواهي الجبال، فكلما أوى<sup>(٦)</sup> بذروة جبل<sup>(٧)</sup> لكي يلقى نفسه منه تبتدى<sup>(٨)</sup> له جبريل عليه السلام، فقال له: يا محمد، إنك رسول الله حقاً، فيسكن ذلك جأشه، وتقر نفسه عليه الصلاة والسلام، فيرجع فإذا طالت عليه، وفتر الوحي غداً لمثل ذلك فإذا أوى بذروة جبل تبتدى له جبريل فقال له مثل ذلك<sup>(٩)</sup>.

موقف من المواقف التي حزن فيها رسولنا ﷺ يوم أن تأخر مجيء الوحي إليه، واشتاق إلى رؤية جبريل عليه السلام، ليسمع منه حديث السماء.

ولعل المرء يتساءل: إن الرسول ﷺ فزع عند بدء مجيء الوحي، والآن اشتاق إلى مجيئه، فكيف ذلك؟! .

يقول لنا بعض أهل العلم في هذا الشأن: إن عادة الله جرت بأن الأمر الجليل إذا قضى بإيصاله إلى الخلق أن يكون معه ترشيح وتأسيس، فكان ما يراه النبي ﷺ من الرؤيا الصادقة، ومحبة الخلوة، والتعبد من ذلك، فلما فجأه الملك فجأة بغتة وهذا أمر خالف العادة - والمألوف، فنفر طبعه البشري منه، وهاله ذلك، ولم يتمكن من التأمل في تلك الحال، لأن النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها، فلا يتعجب أن يجزع مما لم يألفه، وينفر طبعه منه حتى إذا تدرج عليه، وألفه، كان من مقدمات

(١) عودى: أودى.

(٢) مؤزرًا: أى قوياً، مأخوذ من الأزر وهو القوة، وقال أبو شامة: يحمل أن يكون من الإزار، أشار بذلك إلى تشميره في نصرته.

(٣) ينشب: يلبث وأصل النشوب التعلق، أى لم يعلق بشيء من الأمور حتى مات.

(٤) فتر الوحي: عبارة عن تأخر مدة من الزمان، وكان ذلك لينهب ما كان ﷺ وجده من الروع ولحصول له التشوق إلى العود.

(٥) يتردى: يلقى نفسه من شاطئ.

(٦) أوى: وصل.

(٧) ذروة: أعلى.

(٨) تبتدى: حدث صحيح. أخرجه البخارى (٣)، (٣٣٩٢)، (٤٩٥٣)، (٤٩٥٥)، (٤٩٥٦)، (٤٩٥٧)، (٦٩٨٢)، ومسلم (٢٥٢)، وأحمد (٣٧٧/٣)، (٢٣٣/٦)، والبيهقى (٣١٧/١٣) في شرح السنة، والبيهقى (٥١/٧)، (٦/٩) في السنن الكبرى، و (١/٦٩) في دلائل النبوة.

تأسيس النبوة فترة الوحي ليتدرج فيه ، ويمزن عليه ، فشق عليه فتوره إذا لم يكن خوطب عن الله بعد : إنك رسول من الله ، ومبعوث إلى عباده ، فأشفق أن يكون ذلك أمر بدىء به ، ثم لم يرد استفهامه فحزن لذلك ، حتى تدرج على احتمال أعباء النبوة ، والصبر على ثقل ما يرد إليه فتح الله له من أمره بما فتح ومثال ما وقع له في أول ما خوطب ، ولم يتحقق الحال على جليتها مثل رجل سمع آخر يقول : « الحمد لله » فلم يتحقق أنه يقرأ حتى إذا وصلها بما بعدها من الآيات ، تحقق أنه يقرأ ، وكذا لو سمع قائلاً يقول : خلعت الديار ، لم يتحقق أنه ينشد شعراً حتى يقول : « محلها ومقامها » .

هكذا كان حال نبينا ﷺ عندما تأخر عنه الوحي .

وهناك شبهة أخرى ، ذكرها الإمام الإسماعيلي بقوله :

موه بعض الطاعنين على المحدثين ، فقال : كيف يجوز بنبي أن يرتاب في نبوته حتى يرجع إلى ورقة ، ويشكو لخديجة ما يخشاه ، وحتى يوفى بذروة بجبل ليلقى منها نفسه !؟ .

قال الإسماعيلي إجابة على الشق الأول من السؤال ما ذكرناه أما الشق الثاني من السؤال فأجاب عنه بقوله :

أما إرادته إلقاء نفسه من رؤوس الجبال بعد ما نبىء فلضعف قوته عن تحمل ما حمله من أعباء النبوة ، وخوفاً مما يحصل له من القيام بها من مباينة الخلق جميعاً ، كما يطلب الرجل الراحة من غم يناله في العاجل بما يكون فيه زواله عنه ، ولو أفضى إلى إهلاك نفسه عاجلاً ، حتى إذا تفكر فيما فيه صبره على ذلك من العقبى المحمودة صبر ، واستقرت نفسه .

قال ابن حجر : أما الإرادة المذكورة ففي صريح الخبر أنها كانت حُزناً على ما فاته من الأمر الذي بشره به ورقة ، وأما الإرادة الثانية بعد أن تبدى له جبريل ، وقال له : إنك رسول الله حقاً فيحتمل ما قاله ، والذي يظهر لي أنه بمعنى الذي قبله ، وأما المعنى الذي ذكره الإسماعيلي فوقع قبل ذلك في ابتداء مجيء جبريل ، ويمكن أن يؤخذ مما أخرجه الطبري من طريق النعمان بن راشد عن ابن شهاب فذكر نحو حديث الباب وفيه : فقال لي : يا محمد أنت رسول الله حقاً . قال : فلقد هممت أن أطرح نفسي

من حائق جبل ، أى من علوه .

الخلاصة مما سبق أن الوحي انتقطع عن الرسول ﷺ ليشند شوقه إلى نداء السماء ، وقد كان ، حتى أشتد به الشوق ، وخاف أن يكون قد امتنع عنه الوحي نهائياً ، حتى صار كلما أتى ذروة جبل بداله أن يرمى نفسه حذراً من انقطاع الوحي عنه بعد أن أحس بأنه نعمة كبرى من نعم الله عليه ، وهى اختياره لأن يكون واسطةً بينه وبين خلقه ، فيتبدى له الملك قائلاً : أنت رسول الله حقاً ، لكى يطمئن خاطره ، ويرجع وصل إليه حاله .

أما موقف الحزن الذى عاشه ﷺ فتعلم منه كما عانى رسولنا ﷺ في سبيل أن يصل إلينا نداء السماء ، وتنزل إلينا أعظم الآلاء ، وأجل النعماء ، ألا وهى نعمة القرآن الكريم .

وهذه الصورة التى رأيناها من صور الوحي ليست هى الصورة الوحيدة التى كان الوحي يأتيه فيها .

فلقد كان الوحي يأتي أحياناً مثل صلصلة الجرس .  
وأحياناً كان يتمثل في صورة ملك يخاطب الرسول ﷺ فيعى عنه .  
وأحياناً كان يأتي في صورة الرؤيا الصالحة في النوم .  
ولكن كيف انتهى موقف الحزن الذى رأيناه من قبل ؟  
لعل موقف الحزن الذى شاهدناه منذ قليل لم ينته إلا بمجيء الوحي مرة ثانية !  
ويروى لنا هذا الصحابى الجليل جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - فيقول :  
قال رسول الله ﷺ :

« بينما أنا أمشى إذ سمعت صوتاً في السماء ، فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى بجراء<sup>(١)</sup> جالس على كرسى بين السماء والأرض ، فَجِئْتُ<sup>(٢)</sup> منه رعباً فرجعت فقلت : زملونى ، زملونى ، فدفثرونى<sup>(٣)</sup> ، فأنزل الله عز

(١) أراد جبل حراء الذى جاءه جبريل - عليه السلام - بالوحي فيه .  
(٢) أى فزعت ورجعت ، يقال : جث الرجل إذا فزع ، فهو مجعوث أى مذعور مفزوع .  
(٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤/١) ، (٢٠١/٦ - ٢٠٢ / الشنب ) ، ومسلم ( ٢٠٦/٢ )  
نوى ) ، والترمذى (٣٣٨١) ، وأحمد (٣٢٥/٣ ، ٣٧٧) ، وابن أبى الدنيا (١) فى المواقف كلهم من حديث جابر .

وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

أى : يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ بِشِبَاهِهِ .

﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أى : حذر الناس من عذاب الله ، إن لم يرجعوا عن غيهم ، وما كان يعبد آباؤهم .

﴿ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ﴾ أى : لا تشرك مع ربك فى ذلك غيره .

﴿ وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ ﴾ أى : كن متطهراً لتكون مستعداً للوقوف بين يدي الله إذ لا يليق بالمؤمن أن يكون غير متطهر بين يدي ربه عز وجل .

﴿ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ أى اهجر أسباب الرجز ، وهو العذاب ، بأن تطيع الله ، وتنفذ أمره .

﴿ وَلَا تَمَنَّكَ تَسْتَكْثِرْ ﴾ أى : لا تهب أحداً هبة ، وأنت تطمع أن تستعيب من الموهوب له أكثر مما وهبك ، فهذا ليس من شأن الكرام .

﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ أى : أصبر على ما سيلحقك من أذى قومك حينما تدعوهم إلى توحيد الله ، وتتابع الوحي بعد ذلك .



## حزنٌ طويلٌ فى موقفٍ أليمٍ



عن عائشة - رضى الله عنها - زوج النبي ﷺ أنها قالت لرسول الله ﷺ :

يا رسول الله ، ما أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يومٍ أحد ؟  
قال : « لقد لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ،  
إذ عرضت نفسى على ابن عبد يا ليل فلم يُجبنى ، فانطلقت ، وأنا مهمومٌ  
على وجهى ، فلما كنتُ بموضع كذا رفعت رأسى ، فإذا أنا قد أظلتى  
سحابة ، فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى ، فقال : إن الله عز وجل قد سمع  
قول قومك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت  
فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسلم عليّ ، ثم قال : يا محمد ، إن الله عز وجل  
قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثى ربك إليك لتأمرنى  
بأمرك فيما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين<sup>(١)</sup> .

فقلت : أرجو أن يخرج الله من أصلابهم<sup>(٢)</sup> من يعبد الله لا شريك  
له<sup>(٣)</sup> .

هذا الموقف العصيب الذى عاش فيه رسولنا ﷺ يعلمنا كمال شفقتة ،  
وسعة رحمته ، ومزيد حلمه وصبره ﷺ .

ويعلمنا هذا الموقف الذى دخل فيه الحزن إلى قلب النبي ﷺ أن المؤمن  
لا يقنط أبداً وهو يدعو إلى الله تعالى ، مهما قابل من محن وعقبات ،  
وشدائد وابتلاءات .

ومن خلال هذا الموقف النبوى نتعلم الثبات على الحق مهما كانت الظروف ،  
ومهما زادت المصائب .

ومع الدموع والأحزان فى حياة الرسول ﷺ تكمل المسير .

(١) الأخشبان : هما جبال مكة أبو قيس والذى يقابله .

(٢) الصُّلْبُ : عظم من لدن الكاهل إلى عضو الذنب ، والجمع أصلاب ، الصلب فى حقيقة الظهر .

(٣) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤/١٣٩ - ١٤٠) ، ومسلم (١٥٤ - ١٥٥) ، وابن أبى

الدنيا (٢) فى الهواتف ، وابن حبان (١٣٢/٨) .



## اقرأ في الصفحات التالية

- ١ - أحزان عند فراق الوطن .
- ٢ - حادثة الحزن الأكبر ..
- ٣ - حزن لوفاة المرأة السوداء .
- ٤ - حزن لمقتل حمزة بن عبدالمطلب .
- ٥ - نموع وأحزان عند سكرات الموت .



## أحزان عند فراق الوطن



عن عبدالله بن عدى - رضى الله عنه - أنه قال :  
 رأيت رسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة<sup>(١)</sup>، فقال :  
 « والله ، إنك لخير أرض ، وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أنى  
 أخرجت منك ما خرجت »<sup>(٢)</sup>.  
 موقف حزين على قلب رسول الله ﷺ ، عاش فيه ، وتألم من أجله ،  
 ولكن كيف كان هذا الموقف ؟ ولم كان ؟ .  
 أخى المسلم .. أختى المسلمة ..

هذا الموقف الحزين الذى عاشه رسولنا ﷺ ذكر بعض أهل العلم أنه  
 كان عند هجرته ﷺ ، وفى أثناء خروجه من مكة المكرمة .  
 وهناك من قال أن هذا الموقف كان يوم فتح مكة .  
 هنا وقف النبي على هذا التل ( الحزورة ) ، وقال قوله التالى :  
 « والله إنك لخير أرض الله ، وأحب أرض الله إلى الله » .  
 هكذا هى مكة خير بقاع الأرض عند الله تعالى وأشرفها<sup>(٣)</sup>.  
 « ولولا أنى أخرجت منك » أى لولا أن الله عز وجل أمرنى بالهجرة ما  
 خرجت من أرضك .

وقوله « ما خرجت » فيه دلالة على أنه لا ينبغي للمؤمن أن يخرج منها  
 حقيقة ، أو حكماً ، وهو الضرورة الدينية أو الدنيوية<sup>(٤)</sup>.

(١) الحزورة : على وزن القسورة موضع بمكة ، والحزورة فى الأصل بمعنى التل الصغير ، سميت بذلك  
 لأنه كان هناك تل صغير .

وقيل : لأن وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد كان ولى أمر البيت بعد جرحه فبنى صرحاً كان  
 هناك ، وجعل فيه أمة يقال لها حزورة فسميت حزورة مكة بها .

(٢) حديث صحيح . أخرجه أحمد (٣٠٥/٤) ، والترمذى (٤٠١٨) وقال : حسن غريب صحيح ،  
 وابن ماجه (٣١٠٨) ، والدارمى (٢٣٩/٢) ، والحاكم (٤٣١ ، ٧/٣) ، وصححه . وله طريق آخر  
 من حديث أبى هريرة كما أشار الترمذى .

(٣) وللسيوطى رسالة فى الحجج المينة بين مكة والمدنية ، وللأزرقي كتاب « فضائل مكة » .

(٤) تحفة الأحمذى (٤٢٦/١٠) . وابن حبان (١٠٢٦) ، ابن ماجه (٢٩٣٢) ، والحاكم

ولقد روى هذا الحديث ابن عباس - رضى الله عنهما - فقال : قال رسول الله ﷺ مكة :

« ما أطيبك من بلد ، وأحبك إني ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك »<sup>(١)</sup>.

فقوله « ما أطيبك من بلد ؟ » صيغة تعجب ، و « أحبك إني » عطف عليه .

وقوله : « ولولا أن قومي أخرجوني » أى : صاروا سبباً لخروجي .  
وقوله : « ما سكنت غيرك » هذا دليل على أن مكة أفضل من المدينة ، وهو دليل الجمهور فى هذه المسألة .

ولكن عندما نتأمل فى موقف الحزن الذى عاشه نبينا ﷺ نجد الحنين إلى موطن أصله ، والحنين إلى الوطن حيث كعبة الله حماها الله ، ومواطن الأجداد .

والحنين إلى الوطن من الأمور التى يُجبل عليها المرء ، وبحب الأوطان تُعمر الأوطان .

ولكن ليس حب الوطن لما فيه من ترابٍ إنما هو لما فيه من مواضع يُعبد الله فيها ، ولمن فيه من الموحدين ، والذاكرين لربهم .

ولقد سئل أعرابى : ما الغبطة ؟ فقال : الكفاية ، ولزوم الأوطان ، والجلوس مع الإخوان .

ومن ثم فلا عجب إذا شبهت العرب الغريب باليتيم اللطيم ، الذى تُكل أبويه ، فلا أم ولا أب له .

وكان يقال : الغريب عن وطنه ، ومحل رضاعه كالفرس الذى زایل أرضه ، وفقد شربه ، فهو ذاوٍ لا يثمر ، وذابل لا ينضر .

ولهذا قال الشاعر :

أحنّ إلى أرضِ الحجاز وحاجتى خيامَ بنجدٍ ذونها الطرفُ يقصرُ

(١) أخرجه الترمذى (٤٠١٩) .

وما نظرى من نحو نجد بناهني أجل لا ولكنى على ذاك أنظر  
أى كل يوم نظرة ثم عبرة لعينيك يجرى ماؤها يتحدث  
متى يستريح القلب إما مجاوز حزين وإما نازح يتذكر

والحنين إلى الوطن لا يصل أبداً إلى مرحلة جمعه من الإيمان ، ولا يفترنا  
الحديث المكذوب « حب الوطن من الإيمان »<sup>(١)</sup>.

ولكن مقصودنا بالحنين إليه الرغبة في العيش مع أهله حيث التوحيد  
والإسلام ، وبيوت الرحمن ، وحيث ارتفاع نداء الإيمان في كل يوم خمس  
مرات .

ولقد قيل في حب الوطن الأم :

« أحق البلدان بنزحك إليه بلد أمصك حلب رضاعه » .

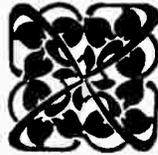
وقيل : احفظ بلداً أرشحك غذاؤه ، واراع جمي أكنك فناؤه .

وقيل : لا تشكون بلداً فيه قبائلك ، ولا أرضاً فيها قوايلك .

وقيل : من علامة الرشد أن تكون النفس إلى أوطانها مشتاقة ، وإلى

مولدها تواقّة .

فسلام على رسولنا ﷺ في العالمين ، وسلام على جميع المرسلين .



(١) حكم بوضعه الصغاني (ص/٧) وغيره .

## حادثة الحزن الأكبر ..



عن أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع<sup>(١)</sup> بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فأقرع بيننا فى غزوة غزاها ، فخرج سهمى<sup>(٢)</sup> ، فخرجت معه بعدما نزل الحجاب<sup>(٣)</sup> ، وأنا أحمل فى هودج<sup>(٤)</sup> وأنزل فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين<sup>(٥)</sup> ، آذن ليلة بالرحيل ، فقامت حينئذ ، فمشيت حتى جاوزت الجيش<sup>(٦)</sup> ، فلما قضيت حاجتى أقبلت إلى رحلى ، فإذا عقد<sup>(٧)</sup> لى من جزع ظفار<sup>(٨)</sup> قد انقطع ، فالتمسته وحسنى التماسه ، وأقبل الرهط<sup>(٩)</sup> الذين كانوا يرحلون بى ، فاحتملوا هودجى ، فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يُثقلهن اللحم ، إنما يأكلن العُلقة<sup>(١٠)</sup> من الطعام ، فلم يستنكر خفة المحمل حين رفعوه<sup>(١١)</sup> ، وكنت

- (١) أجرى القرعة .  
 (٢) أى بعد ما نزل الأمر بالحجاب ، والمراد حجاب النساء عن رؤية الرجال هن ، وكان قبل ذلك لا يمتنع ، وهذا قاله كالرطوبة للسبب فى كونها كانت مستورة فى الهودج حتى أفضى ذلك إلى تحميله ، وهى ليست فيه ، وهم يظنون أنها فيه ، بخلاف ما كان قبل الحجاب ، فلعل النساء حينئذ كن يركبن ظهور الرواحل بغير هودج ، أو يركبن الهودج غير مستترات ، فما كان يقع لها الذى يقع ، بل يعرف الذى كان يخدم بعيرها إن كانت ركبت أم لا قاله ابن حجر فى الفتح (٤٥٨/٨) .  
 (٣) الهودج : بفتح الهاء والذال بينهما أو ساكنة : محمل له قبة تستر فيه بالثياب ونحوه ، يوضع على ظهر البعير ، ليركب فيه النساء ليكون أستر هن .  
 (٤) قافلون : أى راجعون ، والمراد أن القصة حدثت وقت حال رجوعهم من الغزوة ، قرب دخولهم المدينة .  
 (٥) أى : لتقضى حاجتها منفردة .  
 (٦) العقد : القلادة تعلق فى العنق للترزين بها .  
 (٧) جزع : حرز معروف فى سواده بياض ، وظفار مدينة باليمن ، وهو الأرجح ، وقيل : جبل ، وقيل : سميت المدينة وهى فى أقصى اليمن إلى جهة الهند ، ولئى المثل : من ظفار حمر ، أى تكلم بالحميرية ، لأن أهلها كانوا من حير .  
 (٨) الرهط : هو عددٌ من ثلاثة إلى عشرة .  
 (٩) العُلقة : القليل ، قال القرطبي : كأن المراد الشيء القليل الذى يسكن الرمح .  
 (١٠) مرادها إقامة عذرهم فى تحصيل هودجها ، وهى ليست فيه ، فكأنها تقول : كأنها لحفة جسمها =

جارية حديثة السن<sup>(١)</sup>، فبعثوا الجمل<sup>(٢)</sup> وساروا، فوجدت عِقدى بعد ما استمر الجيش، فبحث منازلهم وليس بها داع، ولا مُجيب<sup>(٣)</sup>.  
فأمثُ منزلى<sup>(٤)</sup>. الذى كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونى  
فيرجعون<sup>(٥)</sup> إلّى، فيينا أنا جالسةٌ غلبتتى عيني، فمئت<sup>(٦)</sup>.

وكان صفوان المُعطلُ السُّلمى، من وراء الجيش، فأدلى، فأصبح  
عند منزلى<sup>(٧)</sup>، فرأى سواد إنسان نائم<sup>(٨)</sup>، فأتانى، فعرفنى حين رأتى، وكان

---

= بحيث أن الذين يحملون هودجها لا فرق عندهم بين وجودها فيه وعدمها، ولهذا أردفت بقولها :  
وكتت جارية حديثة السن، أى أنها مع نحافتها صغيرة السن، فذلك أبلغ فى خفتها . وقد وجهت  
الرواية الأخرى بأن المراد لم يستكروا الثقل الذى اعتادوه، لأن ثقله فى الأصل إنما هو مما ركب  
الهودج منه من خشبٍ وحبال، وسعر، وغير ذلك .  
وأما هى فلشدة نحافتها كان لا يظهر بوجودها فيه زيادة الثقل .

والحاصل : أن الثقل والخفة من الأمور الإضافية فيضاوتان بالنسبة، ويستفاد من ذلك أيضاً  
أن الذين كانوا يرحلون بعيرها كانوا فى غاية الأدب معها، والمبالغة فى ترك التقيب عما فى الهودج  
بحيث أنها لم تكن فيه وهم يظنون أنها فيه، وكأنهم جوزوا أنها نائمة . انظر : الفتح (٤٦٠/٨) .  
(١) كانت لم تكمل خمس عشرة سنة . (٢) أى آثاره .

(٣) إن قيل : لم لم تستصحب عاتشة معها غيرها فكان أدعى لأنها مما يقع للمفرد؟ ولكانت  
لما تأخرت للبحث عن العقد ترسل من رافقها لينظروها إن أرادوا الرحيل؟ .  
الجواب : أن هذا من جملة ما يستفاد من قولها « حديثة السن » لأنها لم يقع لها تجربة مثل ذلك .  
وقد صارت بعد ذلك إذا خرجت لحاجتها تستصحب كما سياتى فى قصتها مع أم مسطح .  
(٤) أى قصدت .

(٥) قيل : إنهم أقاموا إلى وقت الظهر، ولم يرجع أحدٌ منهم إلى المنزل الذى كانت به، ولا نقل  
أن أحداً لاقاها فى الطريق، لكن يحتمل أن يكونوا استمروا فى السير إلى قرب الظهر، فلما نزلوا  
اشتغلوا بحط رحالهم وربط رواحلهم، واستصحبوا حالهم فى ظنهم أنها فى هودجها لم يفقدوها إلى  
أن وصلت على قرب، ولو فقدوها لرجعوا كما ظنته، وهذا ظاهرٌ فى أنها لم تبعهم .

(٦) يحتمل أن يكون سبب النوم شدة الغم الذى حصل لها فى تلك الحالة . ومن شأنه الغم - وهو  
وقوع ما يكره - غلبة النوم، بخلاف الهم وهو توقع ما يكره، فإنه يقتضى السهر، أو لما وقع  
من برد السحر لها من رطوبة بدنها وصغر سنّها . انظر : الفتح (٤٦١/٨) .

(٧) كأنه تأخر فى مكانه حتى قرب الصبح فركب ليظهر له ما يسقط من الجيش مما يخفيه الليل .  
ويحتمل أن يكون سبب تأخيرها ما جرت به عادته من غلبة النوم عليه .

(٨) السواد بلفظ ضد البياض يطلق على الشخص أى شخص كان، فكأنها قالت رأى شخص آدمى،  
لكن لا يظهر أنه رجل أو امرأة .

يرانى قبل الحجاب<sup>(١)</sup>، فاسترجع<sup>(٢)</sup>، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت<sup>(٣)</sup>، فخرمت وجهى بجلباني ، والله ما كلمنى كلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، فأناخ راحلته ، فوطيء على يديها فركبتها<sup>(٤)</sup>.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين<sup>(٥)</sup> في نحر الظهرية<sup>(٦)</sup>، فهلك من هلك في<sup>(٧)</sup>، وكان الذي تولى كِبَر الإفك<sup>(٨)</sup> عبدالله ابن أبي بن سلول .

فقدمنا المدينة ، فاشتكت بشهراً ، والناس يُفِيضُونَ في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، ويرينى في وجعى أنى لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكى<sup>(٩)</sup>، إنما يدخل على ، فيسلم ، ثم يقول : كيف تيكم<sup>(١٠)</sup>؟ ثم ينصرف ، فذلك الذي يرينى ، ولا أشعر بالبشر ، حتى خرجت بعد ما نقهت<sup>(١١)</sup>، فخرجت مع أم مسطح قبل

(١) أى قبل نزول آية الحجاب ، وهذا يدل على قدم إسلام صفوان ، فإن الحجاب كان في قول أبي عبيدة وطائفة في ذى القعدة سنة ثلاث ، وعند آخرين فيها سنة أربع ، وصححه الدمياطي ، وقيل : بل كان فيها سنة خمس .

(٢) أى بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون ، وكأنه شق عليه ما جرى لعائشة أو خشى أن يقع ما وقع ، أو أنه اكتفى بالاسترجاع رافعاً به صوته عن مخاطبتها بكلام آخر صيانة لها عن المخاطبة في الجملة وقد كان عمر يستعمل التكبير عند إرادة الإيقاظ ، وفيه دلالة على لطف صفوان وحسن أدهب .

(٣) أرادت بهذه العبارة نفي المكاملة أئبئة فقالوا : استعمل معها الصمت اكفاء بقرائن الحال مبالغة منه في الأدب ، وإعظافاً لها وإجلالاً .

(٤) أى ليكون أسهل لركوبها ، ولا يحتاج إلى مسها عند ركوبها .

(٥) أى : نازلين في وقت الوغرة بفتح الواو ، وسكون العين ، وهى شدة الحر لما تكون الشمس في كبد السماء ، ومنه أخذ وغر الصدر ، وهو توفده من الفيظ بالحقد ، وأوغر فلان إذا دخل في ذلك الوقت كأصبح وأمسى .

(٦) في نحر الظهرية : تأكيد لقوله موغرين ، فإن نحر الظهرية أولها وهو وقت شدة الحر ، ونحر كل شيء أوله كأن الشمس لما بلغت غايها في الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر الذي هو أعلى الصدر .

(٧) أهبمت القتال وما قال ، وأشارت بذلك إلى الذين تكلموا بالإفك ، وخاضوا في ذلك ، قال ابن حجر : وأما أسماؤهم فالمشهور في الروايات الصحيحة : عبدالله بن أبي مسطح بن أثالة ، وحسان ابن ثابت ، وحنينة بنت جحش .

(٨) أى تصدى لذلك وقلده ، وكبره أى كبر الإفك ، وكبر الشيء معظمه ، وقيل : المعنى الذي تولى إلمه .

(٩) أى حين أمرض . (١٠) هى للمؤنث مثل ذاك للمذكر .

(١١) نقهت : بفتح القاف وقد تكسر ، والأول أشهر ، والناقه بكسر القاف الذى أفاق من مرضه ، =

المناصع<sup>(١)</sup>، وهو متبرزنا<sup>(٢)</sup>.

وَكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن تُتخذ الكُنْف قريباً من يُبوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول من التبرُّز قبل الغائط ، وكنا نتأذى بالكُنْف أن تتخذها عند يُبوتنا ، فانطلقت أنا وأمّ مسطح بنت أبي رُهم بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة ، فأقبلتُ أنا وهي قبل بيتي ، قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أمّ مسطح في مِرْطِها<sup>(٣)</sup>، فقالت : تعس مسطح<sup>(٤)</sup>! فقلتُ لها : بش ما قلت ! أتسبين رجلاً شهد بدرأ؟! .

قالت: أي هَتَّاه<sup>(٥)</sup>، أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما ذاك ؟ فأخبرتني الخبر ، فازددت مرضاً على مرضي .

فلما رجعت إلى بيتي ، ودخل عليّ رسول الله ﷺ فسلم ، ثم قال : « كيف تيكم ؟ » فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ وأنا حيثُ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي ، فجئت أبوي فقلت : يا أمّته ، ما يتحدثُ الناسُ ؟ .

---

= ولم تتكامل صحته . وقيل : إن الذي بكسر القاف بمعنى فهمت لكنه هنا لا يرجع لأنها ما فهمت ذلك إلا فيما بعد ، وقد أطلق الجوهري وغيره أنه بفتح القاف وكسرها لغتان في برأ من المرض وهو قريب العهد لم يرجع إليه كمال صحته .

(١) قبل المناصع : أي جهتها ، والمناصع صعيد أفصح خارج المدينة .

(٢) متبرزنا : بفتح الراء موضع التبرز ، وهو الخروج إلى البراز وهو القضاء ، وكله كتابة عن الخروج إلى قضاء الحاجة .

(٣) المرط : كساء من حرير ، أو صوف ، أو كتان ، وقيل : هو الثوب الأخضر .

(٤) أي كب لوجهه ، أو هلك ولزمه الشر .

وقال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون قول أم مسطح هذا عمداً لتوصل إلى إخبار عائشة بما قيل فيها ، وهي غافلة ، ويحتمل أن يكون اتفاقاً أجراه الله على لسانها لتتقيظ عائشة من غفلتها عما قيل فيها .

(٥) أي حرف نداء للبعيد ، وقد يستعمل للقريب حيث ينزل منزلة البعيد ، والنكبة فيه هنا أن أم مسطح نسبت عائشة إلى الغفلة عما قيل فيها لإنكارها سب مسطح فخاطبتها خطاب البعيد ، وهتاه : بفتح الهاء وسكون النون أي هذه ، وقيل : امرأة ، وقيل : بلهى كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكاند الناس .

قالت : يا بُنَيَّةُ ! هَوْنِي عَلَيْكَ ، فوالله لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً وَضِيئَةً<sup>(١)</sup> عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضُرَائِرُ<sup>(٢)</sup> إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا<sup>(٣)</sup> .

فقلت : سبحان الله<sup>(٤)</sup> ؟ وقد تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا !؟ فبَكَيْتَ اللَّيْلَةَ حَتَّى لَا يَرِقَ أَلِي دَمْعٌ<sup>(٥)</sup> ، وَلَا أُكْتَحِلُ بِنَوْمٍ<sup>(٦)</sup> ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، حِينَ اسْتَلْبِثَ الْوَحْيَ<sup>(٧)</sup> ، يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ .

فَأَمَّا أُسَامَةُ ، فَأَشَارَ عَلِيٌّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوَدِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْلَكَ ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا .

وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ : لَمْ يَضِيقَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءَ سِوَاهَا كَثِيرًا<sup>(٨)</sup> ، وَأَسْأَلُ

(١) وضيئة : بوزن عظيمة من الوضاعة أى حسنة جميلة .

(٢) ضرائر : جمع ضرة ، وقيل للزوجات ضرائر ، لأن كل واحدة يحصل لها الضرر من الأخرى بالغيرة .

(٣) أكثرن عليها : أى القول فى عيبها ، وفى هذا الكلام من فطنة أمها ، وحسن تأتينا فى تربيتها مالا مزيد عليه ، فإنها علمت أن ذلك يعظم عليها فهونت عليها الأمر بإعلامها بأنها لم تفرد بذلك ، لأن المرء يتأسى بغيره فيما يقع له ، وأدجمت فى ذلك ما تطيب به خاطرها من أنها فائقة فى الجمال والخطورة ، وذلك مما يعجب المرأة أن توصف به ، مع ما فيه من الإشارة إلى ما وقع من حمنة بنت جحش ، وأن الحامل لها على ذلك كون عائشة ضرة أختها زينب بنت جحش ، وعرف من هذا أن الاستثناء فى قولها إلا أكثرن عليها متصل لأنها لم تقصد قصتها بعينها ، بل ذكرت شأن الضرائر ، وأما ضرائرها هى فإين ، وإن كن لم يصدر منهن فى حقها شئ مما يصدر من الضرائر لكن لم يعدم ذلك ممن هو منهن بسبيل كما وقع من حمنة ، لأن ورع أختها منعها من القول فى عائشة كما منع بقية أمهات المؤمنات وإنما اختصت زينب بالذكر لأنها التى كانت تضاهى عائشة فى المنزلة . الفتح (٤٦٧/٨) .

(٤) استغالت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك فى حقها مع براءتها المحققة عندها .

(٥) أى لا ينقطع . (٦) كناية عن السهر . (٧) أى طال لبث نزوله .

(٨) هذا الكلام الذى قاله عليٌّ حمله عليه ترجيح جانب النبى ﷺ لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذى قيل ، وكان ﷺ شديد الغيرة ، فرأى عليٌّ أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها فيمكن رجعتها ، ويستغاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما قاله ابن حجر .

وقال النووي : رأى عليٌّ أن ذلك هو المصلحة فى حق النبى ﷺ ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه ، فبذل جهده فى النصيحة لإرادة راحة خاطره ﷺ .

الجارية ، تصدقك<sup>(١)</sup> .

فدعا رسول الله ﷺ بربيرة ، فقال : « أى بربيرة ، هل من رأيت من شيء يريك ؟ » .

قالت : لا والذي بعثك بالحق ، إن رأيتُ عليها أمراً<sup>(٢)</sup> أغمصه<sup>(٣)</sup> عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجيين أهلها ، فيأتى الداجن<sup>(٤)</sup> ، فيأكله<sup>(٥)</sup> .

فقام رسول الله ﷺ ، فاستعذر من عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال وهو على المنبر :

« يا معشر المسلمين ، من يعذرنى من رجل<sup>(٦)</sup> قد يلغنى أذاه فى أهل بيتى<sup>(٧)</sup> ، فوالله ما علمت على أهل إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهل إلا معى » .

فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك ، إن كان من الأوس ضربت عنقه<sup>(٨)</sup> ، وإن كان من إخواننا من الخزرج ، أمرتنا ، ففعلنا أمرك .  
فقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ،

---

(١) قال ابن حجر : لم يجزم على بالإشارة بفراقها لأنه عقب ذلك بقوله « أسأل الجارية تصدقك ، ففوض الأمر فى ذلك إلى نظر النبى ﷺ ، فكأنه قال : إن أردت تصجيل الراحة ففارقها ، وإن أردت خلاف ذلك فابحث عن حقيقة الأمر إلى أن تطلع على براءتها ، لأنه كان يتحقق أن بربيرة لا تخبره إلا بما علمته ، وهى لم تعلم من عائشة إلا العادة المحضنة .

(٢) أى : ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً ، وأما من غيره ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنّها وضعف بدنها .

(٣) أغمصه : أى أعياه .  
(٤) الداجن : الشاة التى تألف البيت ، ولا تخرج إلى المرعى ، وقيل : هى كل ما يألف البيوت مطلقاً شاة أو طيراً .

(٥) قال ابن المنبر : هذا من الاستثناء البديع الذى يراد به المبالغة فى نفي العيب ، ففعلتها عن عجبنا أبعد لها من مثل الذى رميت به ، وأقرب إلى أن تكون من العافلات المؤمنات .

(٦) قال الخطاى : يحتمل أن يكون معناه من يقوم بعذره فيما رُمى أهل به من المكروه ، ومن يقوم بعذرى إذا عاقبه على سوء ما صدر منه ؟ ورجح النووى هذا الثانى .

وقيل : معنى من يعذرنى من يصرفنى ، والعزير الناصر . وقيل : المراد من يتقم لى منه ؟

(٧) معناه : عابوا أهلى أو اتهموا أهلى .

(٨) إنما قال ذلك لأنه كان سيدهم فجزم بأن حكمه فيهم نافذ .

ولكن احتملته الحمية<sup>(١)</sup>، فقال لسعد : كذبت لعمرُ الله<sup>(٢)</sup>، لا تقتله ، ولا تقدر على قتله<sup>(٣)</sup>.

فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال : كذبت لعمر الله لنقتله<sup>(٤)</sup>، فإنك منافقٌ تُجادلُ عن المنافقين<sup>(٥)</sup>، فتأور الحَيَّان<sup>(٦)</sup>: الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتلوا ، ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر ، فلم يزل يخفضُهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : فبكيْتُ يومى ذلك وليلتى ، لا يرقأ لى دمعٌ ، ولا أكتحلُ بنومٍ ، فأصبح أبوإى عندى<sup>(٧)</sup> ، وقد بكيتُ ليلتين ، ويوماً لا أكتحلُ بنومٍ ، ولا يرقأ لى دمعٌ ، حتى ظننت أن البكاء فالتق كبدى .

فبينما هما جالسان عندى ، وأنا أبكى ، استأذنت على امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكى معى ، فبينما نحن على ذلك ، دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ، ثم جلس ، ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل ، ولقد لبث شهراً لا يُوحى إليه فى شأنى شىء<sup>(٨)</sup>.

قالت : فتشهد ، ثم قال : « أما بعد ، يا عائشة ، فإنه قد بلغنى عنك كذا وكذا<sup>(٩)</sup> ، فإن كنت بريئة ، فسيرتك الله ، وإن كنت ألمت

(١) احتملته : أى أغضبت ، والحمية : العصبية ، والمراد : أى حملته على الجهل .  
(٢) العمر : بفتح العين : هو البقاء ، وهو العمر بضمها ، لكن لا يستعمل فى القسم إلا بالفتح .  
(٣) إشارة إلى أن قومه يمنونه من قتله .  
(٤) أى ولو كان من الخزرج إذا أمرنا النبى ﷺ بذلك ، وليست لكم قدرة على منعا من ذلك .  
(٥) أطلق أسيد ذلك مبالغة فى زجره عن القول الذى قاله ، فإنه لم يرد به نفاق الكفر ، وإنما أراد أنه كان يظهر المودة للأوس ، ثم ظهر منه فى هذه القصة ضد ذلك ، فأشبه حال المنافق لأن حقيقته إظهار شىء ، وإخفاء غيره ، ولعل هذا هو السبب فى ترك إنكار النبى ﷺ عليه .  
(٦) فتأور : تفاعل من الثورة ، والحَيَّان حى ، والحى كالقبيلة ، أى نهض بعضهم إلى بعض من الغضب .

(٧) أى أنهما جاءا إلى المكان الذى هى به من بيتها ، لا أنها رجعت من عندهما إلى بيتها .  
(٨) حكى السهليل أن بعض المفسرين ذكر أن المدة كانت سبعة وثلاثين يوماً فألقى الكسر فى هذه الرواية ، وعند ابن حزم أن المدة كانت خمسين يوماً أو أزيد ، ويجمع بأنها المدة التى كانت بين قدمهم المدينة ونزول القرآن فى قصة الإفك ، وأما التقييد بالشهر فهو المدة التى أولها إتيان عائشة إلى بيت أبويتها حين بلغها الخبر .  
(٩) هو كناية عما رميت به من الإفك ، ولم أر فى شىء من الطرق التصريح ، فعمل الكناية من =

بذنب<sup>(١)</sup>، فاستغفرى الله ، وتولى إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه<sup>(٢)</sup>.

فلما قضى مقالته ، قلص دمعى<sup>(٣)</sup> حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبى : أجب رسول الله فيما قال<sup>(٤)</sup>، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأبى : أجيبى رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت : وأنا يومئذ حديثه السنن ، لا أقرأ كثيراً من القرآن<sup>(٥)</sup> : إني والله لقد علمت ، لقد سمعت هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به<sup>(٦)</sup>، فلئن قلت لكم : إني بريئة والله يعلم أني بريئة - لأصدقوني بذلك<sup>(٧)</sup>، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أني بريئة ،

= لفظ النبى ﷺ .

(١) أى وقع منك على خلاف العادة ، وهذا حقيقة الإماء ، ومنه :

ألت بنا والليل مرخ ستوره .

(٢) قال الداودى : أمرها بالاعتراف ولم يندبها إلى الكتان للفرق بين أزواج النبى ﷺ وغيرهن ، فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ، ولا يكتمنه إياه ، لأنه لا يحل لنبى إمساك ما يقع منها ذلك ، بخلاف نساء الناس ، فإبهن ندبن إلى السر .

وتعبه القاضى عياض بأنه ليس فى الحديث ما يدل على ذلك ، ولا فيه أنه أمرها بالاعتراف ، وإنما أمرها أن تستغفر الله وتتوب إليه أى فيما بينها وبين ربها ، فليس صريحاً فى الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك .

(٣) قلص دمعى : بفتح القاف واللام أى : استمسك نزوله فانقطع ، ومنه : قلص الظل وتقلص

قال القرطبي : سببه أن الحزن والغضب إذا أخذ أحدهما فقد الدمع لفرط حرارة المصيبة

(٤) قيل : إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما فى باطن الأمر ، وهو لا اطلاع له على ذلك ، لكن قالته إشارة إلى أنها لم يقع منها شيء فى الباطن يخالف الظاهر الذى هو يطلع عليه ، فكأنها قالت له : برئى بما شئت وأنت على ثقة من الصدق فيما تقول ، وإنما أجابها أبو بكر بقوله لا أدري لأنه كان كثير الإباحت لرسول الله ﷺ ، فأجاب بما يطابق السؤال فى المعنى ، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يركب ابنته .

(٥) قالت هذا توطئة لما سيأتى ذكره .

(٦) قالت هذا وإن لم يكن على حقيقته على سبيل المقابلة لما وقع من المبالغة فى التقيب عن ذلك ، وهى كانت لما تحققت من براءة نفسها ومنزلتها تحقد أنه كان ينهى لكل من سمع عنها ذلك أن يقطع بكذبه ، لكن العذر لهم عن ذلك أنهم أرادوا إقامة الحججة على من تكلم فى ذلك ، ولا يكفى فيها مجرد النفى لما قالوا ، والسكوت عليه ، بل تعين التقيب عليه لقطع شبههم أو مرادها بمن صدق به أصحاب الإفك ، لكن ضمت إليه من لم يكذبهم تغليبا .

(٧) أى لا تقطعون بصدقى ، وإنما قالت ذلك لأن المرء مؤاخذ بإقراره .

لَتُصَدِّقُنِي ، والله ما أجِدُ لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف : ﴿ فاصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم تحولت ، فاضطجعت على فراشي ، وأنا أعلم أني بريئة ، وأن الله تعالى يُبرئني ببراءتي ، ولكن والله ما ظننتُ أن الله ينزل في شأنِي وحيّاً يُتلى ، ولشأنِي كان في نفسي أحقر من أن يتكلم اللهُ فَيُ بأمر يُتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يُبرئني اللهُ بها .

قالت : فو الله ما قام رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحدٌ من أهل البيت ، حتى نزل الوحي ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء<sup>(٢)</sup> ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان<sup>(٣)</sup> من العرق ، وهو في يومٍ شاتٍ ، من ثقل القول الذي ينزلُ عليه .

فلما سرّى<sup>(٤)</sup> عنه وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها : يا عائشة ، أما والله لقد برك الله<sup>(٥)</sup> .

فقالت أمي : قومي إليه ، فقلت : والله لا أقومُ إليه ، ولا أحدٌ إلا الله<sup>(٦)</sup> ، وأنزل اللهُ تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾<sup>(٧)</sup> العشر الآيات كلها .

(١) سورة يوسف : ١٨ .

(٢) البرحاء : بضم الباء ، وفتح الراء : هي شدة الحمى ، وقيل : شدة الكرب ، وقيل : شدة الحر ، ومنه برح في المهم إذا بلغ مني غاية .

(٣) الجمان : بضم الجيم اللؤلؤ ، وقيل : حب يعمل من الفضة كاللؤلؤ .

وقال الداودي : خرز أبيض ، والأول أولى ، فشبهت قطرات عرقه ﷺ بالجمان لمشابتها في

الصفاء والحسن .

(٤) أي بما أنزل من القرآن .

(٥) أي انكشف .

(٦) عذرهما في إطلاق ذلك ما ذكرته من الذي خامرها من الغضب من كونهم لم يهادروا بتكذيب من قال فيها ما قال مع تحققهم حسن طريقتها .

قال ابن الجوزي : إنما قالت ذلك إدلالاً كما يدل الحبيب على حبيبه .

وقيل : أشارت إلى أفراد الله تعالى بقولها « فهو الذي أنزل براءتي » فاسب إفراده بالحمد في

الحال ، ولا يلزم منه ترك الحمد بعد ذلك . ويحتمل أن تكون مع ذلك تمسكت بظاهر قوله

ﷺ لها « احمدي الله » فهتمت منه أمرها بإفراد الله تعالى بالحمد فقالت ذلك ، وما أضافته إليه

من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب .

(٧) سورة النور : ١١ .

فلما أنزل الله هذا في براءتي ، قال أبو بكر<sup>(١)</sup> ، وكان يُنفق على مسطح لقربته وقره : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذى قال لعائشة .  
فأنزلت : ﴿ ولا يأتل ﴾<sup>(٢)</sup> أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القرى و المساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصْفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴿ .

قال : بلى والله ، إني لأحِبُّ أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .  
قالت : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمرى . فقالت : أجبى سمعى وبصرى<sup>(٣)</sup> ، ما علمت إلا خيراً ، وهى التى كانت تسامينى<sup>(٤)</sup> من أزواج النبى ﷺ فعصمها الله بالورع<sup>(٥)</sup> ، وطفقت أختها حمنة تُحاربُ لها<sup>(٦)</sup> ، فهلكت فيمن هلك<sup>(٧)</sup> من أصحاب الإفك<sup>(٨)</sup> .  
أخى المسلم .. أختى المسلمة ..

هذا الموقف الطويل الذى عشنا مع أحداثه من أكثر المواقف التى أحدثت الحزن فى صدر الرسول ﷺ ، ولم لا ؟!  
وفى هذا الموقف يتهم خير ، وأفضل خلق الله تعالى فى زوجه !! .  
حقاً إنه موقفٌ عصيبٌ ، وحادثٌ مرير ، وهولٌ عظيم .

- 
- (١) يؤخذ منه مشروعية ترك المؤاخذة بالذنب ما دام احتمال عدمه موجوداً لأن أبا بكر لم يقطع نفقة مسطح إلا بعد تحقق ذنبه فيما وقع منه .  
(٢) معناه : لا يفعل من آيت أى أقسمت ، وله معنى آخر من ألوت أى قصرت .  
(٣) أى من الحماية فلا أنسب إليهما ما لم أسمع وأبصر .  
(٤) تسامينى : تعالينى ، من السمو وهو العلو والارتفاع . أى : تطلب من العلو والرفعة ، والحظوة عند النبى ﷺ ما أطلب .  
(٥) أى حفظها ومنعها بالمحافظة على دينها ، ومجانبة ما تخشى سوء عاقبه .  
(٦) تحارب لها : أى تجادل لها ، وتصعب وتحكى ما قال أهل الإفك لتخفض منزلة عائشة . وتعلو مرتبة أختها زينب .  
(٧) أى حدثت فيمن حدث أو أثمت مع من أثم .  
(٨) حديثٌ صحيحٌ . أخرجه البخارى (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) ، وأحمد (١٩٤/٦) - (١٩٧) ، وعبد الرزاق (٩٧٤٨) ، والترمذى (٣١٧٩)

إنه مخططٌ لتشويه صورة الدعوة الإسلامية في مُثلها ، وحامل لوائها .  
إنه النفاق والمنافقون ، والخداع والمخادعون ، والكذب والكذابون .  
أرادوا كيداً في صميم الدين فلم يقدرُوا ، فليكن الكيد عن طريق حامل  
الرسالة ، وصاحب الأمانة .

ولكن إن ربك لهم بالمرصاد ، وهو من ورائهم محيط ، وبأعمالهم خبير ،  
وعلى سرائرهم عليم .

لقد صبر النبي ﷺ في هذا الموقف الحزين صبراً جميلاً لكي نتعلم منه  
حال المؤمن عند نزول البلاء من السماء .

ولقد صبرت أم المؤمنين ، صبراً عظيماً ، وحلمت حلماً جميلاً لكي  
تعطى كل امرأة ينزل بها البلاء درساً عالياً في تحمل الحزن وشدة البلاء .  
إنه موقفٌ عظيمٌ بالغ الأثر ، ولكن أهل النفاق كانوا يحسبونه هيناً .

ولعل هذا الموقف الحزين يوضح لنا كم كانت الشدائد تلاحقه ﷺ ،  
في كل يومٍ من أيام الدعوة ، بل في كل ساعة ، بل في كل خطوة من خطوات  
الدعوة إلى الله تعالى .

كانت الشدائد تنزل عليه ، وفي أهله ، وفي عشيرته ، ومع ذلك لا يتوقف  
عن دعوته ، ولا ينصرف جهده ، ولا يثنى عزمه عما طُلب منه .  
وهذا الموقف الحزين يبين لنا أن مع العسر يسراً ، وأن النصر مع الصبر ، والفرج  
مع الكرب .

وهذا الموقف الحزين يرصد لنا فيه بعض ملامح حياة الداعية إلى الله تعالى  
من عدم التعجل ، والتريث ، والنظر في عواقب الأمور ، وتمحيص ما يقال ،  
فلا يقبل كل شيء ، ولا يرد كل شيءٍ إلا بدليل وبرهان .

وهذا الموقف الحزين يرسم لنا الإطار الذي ينبغي على الداعي إلى سبيل  
الله أن يضع نفسه فيه ، ويتحمل كل ما يقال ويجرى عليه من أحداث .  
وهذا الموقف الحزين يرشدنا إلى صفةٍ أصلية في الداعي الناجح وهي عدم  
اليأس من نصر الله تعالى ، مهما اشتد البلاء .

وهذا الموقف الحزين الذى مرَّ في حياة الرسول ﷺ لم ينته إلا بنزول الوحي من السماء .  
ولقد كان جزاء الذين أشاعوا الفاحشة في أهل التقوى والصلاح أليماً .

تقول عائشة - رضى الله عنها - :

لما تلا رسول الله ﷺ القصة التى نزل بها عذرى على الناس ، نزل فأمر برجلين وامرأة ، ممن كان تكلم بالفاحشة في عائشة ، فجلدوا الحد<sup>(١)</sup> .

هكذا دارت الدائرة على أهل السوء ، وحال الكرب عليهم ، فأجزاء من جنس العمل .

وهذا الموقف الأليم في حياة نبينا ﷺ ذكر أهل العلم الكثير من الفوائد العلمية التى احتوى عليها ، وهامى ذا :

١ - مشروعية القرعة بين النساء ، وفي المسافرة بهن ، والسفر بالنساء حتى في الغزو .

٢ - جواز حكاية ما وقع للمرء من الفضل ، ولو كان فيه مدح ناس ، وذم آخرين ، إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً عند قصد نصح من يبلغه ذلك لتلايق فيما وقع فيه من سبق ، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركه يقع في الإثم ، وتحصيل الأجر للموقع فيه .

٣ - استعمال التوطئة فيما يحتاج إليه من الكلام .

٤ - فيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء حجاب .

٥ - توجه المرأة لقضاء شأنها وحدها ، وبغير إذن خاص من زوجها ، بل اعتماداً على الإذن العام المستند إلى العرف العام .

٦ - صيانة المال ولو قل للنهى عن إضاعة المال ، فإن عقد عائشة لم يكن من ذهب ولا جوهر .

٧ - فيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تطل في التفتيش لرجعت بسرعة ، فلما زاد على قدر الحاجة كان ما جرى .

(١) حديث حسن . أخرجه عبد الرزاق (٩٧٤٩) ، وأبو داود (٤٤٧٤) ، (٣١٨١) ، وابن ماجه (٣١٨١) .

وقريب منه قصة المتخاصمين ، حيث رفع علم ليلة القدر بسببهما ،  
فإنهما لم يقتصرأ على ما لا بد منه ، بل زادا في الخصام حتى ارتفعت  
أصواتهما ، فأثر ذلك بالرفع المذكور ، وغير ذلك من المصالح .

٨ - الاسترجاع عند المصيبة .

٩ - تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي .

١٠ - إغاثة الملهوف ، وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع .

١١ - إكرام ذوى القدر ، وإيثارهم بالركوب .

١٢ - حسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء لا سيما في الخلوة .

١٣ - ملاطفة الزوجة ، وحسن عشرتها ، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما  
يقتضى النقص ، وإن لم يتحقق ، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغيير الحال فتعذر ،  
أو تعترف .

١٤ - لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذى باطنه لئلا يزيد ذلك  
في مرضه .

١٥ - الإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة ، فإن كان السبب  
محققاً فترك أصلاً ، وإن كان مظنوناً فيخفف ، وإن كان مشكوكاً فيه أو  
محتماً فيحسن التقليل منه لا العمل بما قيل ، بل لئلا يظن بصاحبه عدم المبالاة  
بما قيل في حقه لأن ذلك من خوارم المروءة .

١٦ - ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل ، وردع  
من يؤذيهم ، ولو كان مفهم بسبيل .

١٧ - بيان فضيلة أهل بدر .

١٨ - البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع ، وتعرف صحته وفساده  
بالتنقيب على من قيل فيه هل وقع منه قبل ذلك ما يشبه أو يقرب منه ،  
واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر  
عنه بالبحث ما يخالف ذلك .

١٩ - مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب .

٢٠ - أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي لأنه

- ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي .
- ٢١ - التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح .
- ٢٢ - الندب إلى قطع الخصومة ، وتسكين نائرة الفتنة ، وسد ذريعة ذلك ، واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما .
- ٢٣ - فضل احتمال الأذى .
- ٢٤ - مباحة من خالف الرسول ﷺ ، ولو كان قريباً حميماً .
- ٢٥ - فيه أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل ، لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ .
- ٢٦ - مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن .
- ٢٧ - تثبت أبي بكر الصديق في الأمور ، لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادى الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها .
- ٢٨ - تقديم الكبير في الكلام ، وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام .
- ٢٩ - تبشير من تجددت له نعمة أو اندفعت عنه نقمة .
- ٣٠ - معذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه .
- ٣١ - تدرج من وقع في مصيبة فرالت عنه لكلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه ، يؤخذ ذلك من ابتداء النبي ﷺ بعد نزول الوحي ببراءة عائشة بالضحك ، ثم تبشيرها ثم إعلامها ببراءتها مجملة ، ثم تلاوته الآيات على وجهها .
- ٣٢ - فيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبت الفرح .
- ٣٣ - فضل من يفوض الأمر لربه ، وأن من قوى على ذلك خف عنه الهم ، والغم كما وقع في حالتى عائشة قبل استفسارها عن حالها ، وبعد جوابها بقولها : والله المستعان .
- ٣٤ - من حلف ألا يفعل شيئاً من الخير استحبه له الخنث .
- ٣٥ - جواز الاستشهاد بأى القرآن في النوازل .
- ٣٦ - التأسى بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم .

٣٧ - ذم الغيبة وذم سماعها ، وزجر من يتعاطاها لا سيما إن تضمنت  
تهمة المؤمن بما لم يقع منه .  
وهكذا ينتهى أكبر موقف حزين فى حياة الرسول ﷺ ، وكان مليئاً بالمعظات  
والعبر .



## حزن لوفاة المرأة السوداء



عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن امرأة سوداء ، كانت تقم المسجد ، فماتت ، فسأل النبي ﷺ عنها ، فقالوا : ماتت .

قال : « أفلا كنتم آذنتمولى بها ، دلونى على قبرها »<sup>(١)</sup>، فأتى قبرها فصلى عليها .

إنه موقفٌ من المواقف الحزينة التى مرت فى حياة نبينا ﷺ ولكن لتعرف على تفاصيل الموقف كما جاءت .

لقد كانت امرأة سوداء تقوم بكنس المسجد النبوى بعد انتهاء الصلوات فقول أبى هريرة : تقم المسجد ، بقافٍ مضمومة أى تجمع القمامة ، وهى الكناسة .

ولكن لقد وافتها المنية ، ولم يعلم الرسول ﷺ بوفاها حتى دُفنت فى قبرها بعد الصلاة عليها .

وهنا نجد رسولنا ﷺ الذى اتصف بالتواضع ، والرفق بأمتة ، والسؤال عن أحوالهم ، والقيام بأمرهم ، والبحث عن شغونهم ، والاهتمام بمصالحهم فى آخرتهم ودنياهم .

يسأل النبي ﷺ عن المرأة السوداء ، فيخبر أنها قد ماتت ، ودُفنت فى قبرها ، وهنا بأسى وحزين ، يقول الرسول ﷺ :

« أفلا كنتم آذنتمولى بها ، » .

أى : أفلا أعلمتمونى بموتها قبل دفنها ، وفى هذا دليل على استحباب الإعلام بالميت .

ثم ذهب الرسول ﷺ إلى قبرها ، وصلى عليها صلاة الجنائزة ، رحمة بها ، وشفقة عليها ، فإن صلته ﷺ نورٌ وبركة على قبرها .

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٥٨) ، (٤٦٠) ، ومسلم (٩٥٦) ، وابن حبان (٧٥٩) وغيرهم .

وهذا الموقف النبوي يعلمنا ما يلي :

- ١ - فضل تنظيف المسجد ، وعظم ثوابه عند الله تعالى .
  - ٢ - محبة من يقومون بأداء أعمالاً ابتغاء وجه الله تعالى .
  - ٣ - المكافأة بالدعاء ، والترغيب في شهود جناز أهل الخير .
  - ٤ - ندب الصلاة على الميت الحاضر عند قبره لن لم يصل عليه .
  - ٥ - كثرة شفقة الرسول ﷺ على أمته .
- ونكمل المسير مع الدموع والأحزان التي عاش فيها سيد المرسلين ﷺ .



## حزنٌ لمقتل حمزة بن عبد المطلب



يروى جعفر بن عمرو الضمري هذا الموقف الأليم ، فيقول :

خرجت مع عبيدالله بن عدى ، فلما قدمنا حمص قال لى عبيدالله : هل لك فى وحشى نساله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم ، وكان وحشى يسكن حمص ، فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك فى ظل قصره كأنه حميت<sup>(١)</sup> .

قال : فجعنا حتى وقفنا عليه بيسير ، فسلمنا ، فرد السلام .

قال : وعبيدالله مُعْتَجِرٌ<sup>(٢)</sup> بعمامته ما يرى وحشى إلا عينيه ورجليه .

فقال عبيدالله : يا وحشى أتعرفنى ؟ قال : فنظر إليه ، ثم قال : لا والله ، إلا أنى أعلم أن عدى بن الخيار تزوج امرأة يقال لها : أم قتال بنت أبى العيص ، فولدت له غلاماً بمكة ، فكنت أسترضع له<sup>(٣)</sup> ، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه ، فلكأنى نظرت إلى قدميك .

قال : فكشف عبيدالله عن وجهه ، ثم قال : ألا تخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طُعيمة بن عدى بيدر ، فقال لى مولاى جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة نبعى فأنت حر .

قال : فلما أن خرج الناس<sup>(٤)</sup> عام عينين - وعينين جبلٌ بحيال أحد<sup>(٥)</sup> ، بينه أحد ، بينه وبينه واد - خرجت مع الناس للقتال ، فامأ اصطفوا للقتال خرج سباعٌ فقال : هل من مُبارزٍ ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب

(١) أى : زق كبير ، وأكثر ما يقال ذلك إذا كان مملوفاً .

(٢) أى : لاف عمامته على رأسه من غير تحريك .

(٣) أى : أطلب له من يرصه . (٤) أى : قريش ومن معهم .

(٥) عام عينين أى سنة أحد ، وقوله «عيني جبل .. أحد» أى من ناحية أحد ، يقال : فلان حيال كذا أى مقابله .

والسبب فى نسبة وحشى العام إليه دون أحد أن قريشاً كانوا نزلوا عنده .

قال ابن إسحاق : نزلوا بعينين جبل بطن السبخة من قاة على شفير الوادى مقابل المدينة .

فقال : يا سباع ، يا ابن أم امرئ مقطعة البُظور<sup>(١)</sup> ، أُنْحَادُ<sup>(٢)</sup> الله ورسوله ؟ .  
قال ثم شد عليه ، فكأنه كأمسى الذهاب<sup>(٣)</sup> .

قال : وكمنت<sup>(٤)</sup> لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحررتي ،  
فأضعها في نُتْتِه<sup>(٥)</sup> حتى خرجت من بين وركيه ، قال : فكان ذلك العهد  
به .

فلما رجع الناس<sup>(٦)</sup> رجعت معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها  
الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رُسُلًا ،  
فقال لي : إنه لا يهيج الرسل<sup>(٧)</sup> ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على  
رسول الله ﷺ ، فلما رأني قال : « أنت وحشى ؟ » قلت : نعم ، قال :  
« أنت قتلت حمزة ؟ » .

قلت : قد كان من الأمر ما بلغك . قال : « فهل تستطيع أن تُغيب  
وجهك عني » .

قال : فخرجت ، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مُسيلم الكذاب ،  
قلت : لأخرجن إلى مسيلم لعل أقتله فأكافى به حمزة<sup>(٨)</sup> .

قال : فخرجت مع الناس فكان من أمرى ما كان<sup>(٩)</sup> .

قال : فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أورق نائر الرأس ، قال :  
فرميته بحررتي ، فأضعها بين ثديه حتى خرجت من بين كتفيه .  
قال : ووئب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

(١) هي أمه ، كانت مولاة لشريق بن عمرو

(٢) البظور : جمع بظر ، وهي اللحمية التي تقطع من فرج المرأة عند الحتان ، وكانت أمه ختانة  
بمكة تختن النساء .

والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم ، وإلا قالوا : ختانة .

(٣) أُنْحَادُ : أى أنعاند ، وأصل انحادة أن يكون ذا في حد ، وذا في حد ، ثم استعمل في المحاربة  
والمعاداة .

(٤) كتابة عن قتله أى صيره عدماً

(٥) هي العانة ، وقيل : ما بين السرة والعانة .

(٦) أى إلى مكة . (٨) أى : لا يناهم منه إزعاج . (٩) أى أساويه به

(١٠) أى من محاربه ، وقتل جمع من الصحابة في الواقعة التي كانت بينهم وبينه ، ثم كان الفتح  
للمسلمين بقتل مسيلم .

فقالَت جاريةٌ على ظهر بيتٍ : وأمير المؤمنين ، قتله العبد الأسود<sup>(١)</sup> .  
موقفَ حزينٍ عاشه النبي ﷺ بمقتل عمه حمزة بن عبدالمطلب - رضى  
الله عنه - يقول أبو هريرة - رضى الله عنه - واصفاً هذا الموقف الحزين فى  
كلمات فيقول :

وقف رسول الله ﷺ على حمزة حين استشهد ، فنظر إلى شيء لم ينظر  
إليه شيء قط كان أوجع لقلبه منه .

ونظر إليه قد مُثل به ، فقال ﷺ :

«رحمة الله عليك ، فإنك كنت - ما علمت - فعولاً للخيرات ،  
وصولاً للرحم ، ولولا حزنٌ من بعدك عليك لسرى أن أدعك حتى تحشر  
من أفواه شتى .

أما والله مع ذلك لأمتلن بسبعين منهم مكانك ، فنزل جبريل ، والنبي  
ﷺ واقف بعد بجوامم النحل .

﴿ وإن عاقبهم فعاقبوا بمثل ما عوقبهم به ﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر السورة .

فصبر النبي ﷺ ، وأمسك عما أراد<sup>(٣)</sup> .

إنه موقف الأسى والحزن للتمثيل بالجسد الطيب ، فكيف لا يحزن الرسول  
ﷺ !؟

لكنه حزن الشفقة ، والرحمة ، ودموع المحبة ، والأسى .

إنه حزن من يكره أن يرى من أوصل إلى قريه أو صديقه أذى .

فياله من صديق فى المحبة ، وياله من صديق فى الحزن .

فرضى الله عن حمزة فى العالمين ، وسلاماً على المرسلين :

(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٠٧٢) ، وأحمد (٥٠١/٣) ، وانظر سيرة ابن هشام  
(١٥/٣ - ١٨) ، والطبرانى (٢٩٤٧) فى الكبير .

(٢) سورة النحل : ١٢٦ .

(٣) إسناده ضعيف . وله شواهد . أخرجه الحاكم (١٩٧/٣) ، والطبرانى (٢٩٣٧) فى الكبير ،  
والبيزار . (١٦٢/١) ، وفيه صالح المرى من الضعفاء .

لكن له شاهد من حديث أمى بن كعب ، أخرجه الترمذى (٥١٣٦) ، والحاكم (٣٥٩/٢) ،  
والطبرانى (٢٩٣٨) فى الكبير ، وعبدالله فى زوائد المسند (١٣٥/٥) ، وابن حبان (١٦٩٥) .

وانظر : فتح البارى (٣٧١/٧ - ٣٧٢) .

## دموع وأحزان عند سكرات الموت



روت أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - :  
أن رسول الله ﷺ وهو بالموت كان بين قدح فيها ماء ، فجعل يدخل  
يده في الماء فيمسح بها وجهه ، ويقول :  
« لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات » ثم نصب يده فجعل يقول :  
« اللهم أعنى على غمرات الموت وسكرات الموت » .  
ثم جعل يقول : « في الرفيق الأعلى »<sup>(١)</sup> حتى قبض ، ومالت يده .  
إنه آخر موقف فيه الدموع والأحزان يحياه الرسول ﷺ ، إنه في آخر  
الأنفاس له في دار الدنيا .  
فقولها « وهو بالموت » أى مشغول أو ملتبس به .  
وقوله « إن للموت سكرات » أى شدائده ، جمع سكرة ، بسكون  
الكاف ، وهى شدة الموت .



(١) حديث صحيح . أخرجه البخارى (٤٤٤٩) ، (٦٥١٠) ، أحمد (٦٤/٦) ، ٧٠ ، ٧٧ ،  
١٥١ ، والترمذى (٩٨٥) ، وابن ماجه (١٦١٩) .

## وصف السلف الصالح لسكرات الموت

● قالت عائشة - رضی الله عنها - :

لا أعبط أحداً يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ .

●● لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة ، قال له ابنه عبدالله : يا أبتاه ، إنك لتقول لنا ليتنى كنت ألقى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت ، حتى يصف لي ما يجد ، وأنت ذلك الرجل فصف لي الموت ؟ . فقال عمرو : يا بني ، والله كأن جنبي في تحت<sup>(١)</sup> ، وكأن السماء قد انطبقت على الأرض ، وأنا بينهما ، وكأنى أتفيس من سم إبرة ، وكأن غصن شوكٍ يجذب من قدمي إلى هامتي .

●●● قال شداد بن أوس - رضی الله عنه - :

الموت أظع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن ، وهو أشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، وغلى في القدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما أنتفعوا بعيثه ، ولا لنوا بنوم . .

أما قوله : « أحنى على غمرات الموت » ، أى شدائده أيضاً ، والمعنى : اللهم أحنى على دفعها ، فغمرة الشيء شدته .

هكذا يعانى رسولنا ﷺ في آخر أنفاسه من شدة الموت وسكراته وليس ذلك عن نقص في مرتبته عند الله تعالى ، لكن هى زيادة في حسناته ، ورفعته في درجاته .

أحنى المسلم ... أحنى المسلمة ..

هل أخذتم الزاد لسكرات الموت ؟ .

هل أعددتكم العدة لغمرات الموت ؟ .

يروى وهيب بن الورد أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبيائه :

(١) التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسى ، وقد تكلمت به العرب .

إني لا أخرج أحداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة  
كان يعملها سقماً في جسده ، ومصيبة في أهله ، وضيقة في معاشه ، وإقتراراً  
في رزقه ، حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت  
حتى يفضى إليّ كيوم ولدته أمه .

وعزتي لا أخرج عبداً من الدنيا ، وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه بكل  
حسنة عملها صحة في جسده ، وسعة في رزقه ، ورغداً في عيشه ، وأمناً  
في سربه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر ، فإن بقي له شيء هونت عليه الموت  
حتى يفضى إليّ ، وليس له حسنة يتقى بها النار .

أخي المسلم .. أختي المسلمة ..

إن سكرات الموت أظفح هول في الدنيا ، فهي أشد من نشرٍ بالمنشير ،  
وغلى في القدور ، وأشد من ألف ضربة بالسيف .

ويقول القرطبي رحمه الله : لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان :

إحدهما : تكميل فضائلهم ، ورفع درجاتهم ، وليس ذلك نقصاً ، ولا  
عذاباً ، بل هو كما جاء أن أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل ، فالأمثل .

والثانية : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت ، وأنه باطن ، وقد يطلع  
الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ، ولا قلقاً ، ويرى سهولة  
خروج روحه ، فيظن سهولة أمر الموت ، ولا يعرف ما الميت فيه ، فلما ذكر  
الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى ، قطع الخلق  
بشدة الموت الذي يقاسيه الميت مطلقاً لإخبار الصادقين عنه .

فاللهم هون علينا من سكرات الموت ، وأعني عند غمرات الموت .

إنك نعم المولى ، ونعم النصير .

أخي المسلم .. أختي المسلمة ..

قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه ، وحن لكل غافل أن يتنبه من غفلته  
قبل هجوم الموت بمرارة كأسه ، وقبل سكون حرركاته ، وحمود أنفاسه ،  
ورحلته إلى قبره ، ومقامه في صندوقه .

ولله در ابن الجوزي ، وهو يقول :

كم سقى الموت من الحسرات كئوساً ؟!

كم طمس بدوراً وهوساً ؟!

وكم استلب نعماً ثم أعطى بؤساً ؟!

وكم أذل جابرة كانوا شوساً ؟!

وكم أغمض عيوناً ونكس رءوساً ؟!

وكم أبدل التراب عن الثياب ملبوساً ؟!

هيا جدد إيمانك أخي المسلم ، وأنت أختي المسلمة ، واتخذوا من حياة  
رسولنا ﷺ لكم أسوة حسنة .

وإلى هنا ينتهي كتاب دموع وأحزان

مع أمل بقاء آخر مع الرسول ﷺ وشماله

والسلام عليكم ورحمة الله

وبركاته

مجدى فحى السيد إبراهيم





## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم .....
٧	بين يدي الكتاب .....
١٣	دموعٌ عند سماع القرآن .....
١٥	بكاء السلف الصالح عند سماع القرآن .....
١٧	أنين وبكاء في الصلاة .....
١٩	دموع خوفاً من عقاب الله .....
٢٢	دموع الرحمة لموت الحفيد .....
٢٦	دموع وأحزان لوفاة عثمان بن مظعون .....
٢٨	رأيت عينيه تدمعان .....
٣٠	بكاءً خوفاً على الأم .....
٣٢	بكاء في بيت سعد بن عبادة .....
٣٤	تحليل الموقف النبوي .....
٣٧	بكاء عند قبر الأم .....
٤٠	دموع في الجنائز .....
٤٤	حزن واستغاثة يوم بدر .....
٤٧	دموع وأسى يوم أحد .....
٥١	عام الحزن في حياة الرسول ﷺ .....
٥٣	دموع وأحزان في الطائف .....
٥٥	أحزان لانقطاع الوحي .....
٦١	حزن طويل في موقف أليم .....
٦٥	أحزانه عند فراق الوطن .....

٦٨	.....	حادثة الحزن الأكبر
٨٣	.....	حزن لوفاة المرأة السوداء
٨٥	.....	حزن لمقتل حمزة بن عبد المطلب
٨٨	.....	دموع وأحزان عند سكرات الموت
٨٩	.....	وصف السلف الصالح لسكرات الموت
٩٣	.....	الفهرس

رقم الأيداع : ١٩ ٤٥ — ٩٢